

مجلة تراثنا

مجلة دورية علمية محكمة تأسست بتوجيه وتشجيع وزارة الثقافة الفلسطينية، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثاني عشر - السنة السادسة رجب ١٤٤٣هـ / فبراير ٢٠٢٢م

﴿ كَتَبَ آتْرَافُهُ إِلَيْكَ مَبْرُوكًا لِيَذَرَ رِوَاةَ آيَتِهِ وَلِيَسْتَذَكِّرَ أَوْلِيَاءَ الْأَلْبَابِ ﴾ (ص: ١٢٩)

التجوية الثانية

موضوعات العدد:

- سُنُّ اللَّهِ فِي قِصَّةِ مُوسَى وَنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ فِي الْعَشْرِ آيَاتِ الْكُبْرَى
د. صالح بن محمد بن الشيبان
- الإلهام في القلوب وسفاب أهل الفلاح
قال تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ يَتُوبُونَ) سورة التوبة: ٢
د. زينة بنت محمد سالم ناقص
- تجوية وفوف العلامة المطلق: ١٤١٣هـ التي سرّتها الشيخ المريني: ١٤١٣هـ
د. صلاح بن محمد بن علي بن محمد
- الشائبة بين سورتي التكاثر والعنصر وآية الفجر والنبي
أ.د. أمال الشهابي صالح صالح
- الإجماع البلاغي لها الشبهة إن شاء الله تعالى من الإجماع
أولاً: الواقع عند العوالم في الذكر الحكيم
أ.د. أحمد محمد محمد وسعيد
- تقرير رسالة علمية بعنوان:
أثر تدوير القرآن في تعزيز المسؤولية المهنية لدى القضاة
دراسة ميدانية على ممتلكات القضاة الكبار في مدينة الرياض
أ. رانية محمد علي الكبيسي
- تقرير عن مشروع دلي القرآن بعنوان: مؤسسية حياة التدوير القرآني



مَجْلَدُ التَّنْكِيرِ

.....

سُنُّ اللَّهِ فِي قِصَّةِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ



د. صالح بن شيان الثنيان

الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
بالجامعة الإسلامية

قدم للنشر في: ١٤٤٢/١٢/٥

قبل للنشر في: ١٤٤٣/٣/٢٠

نشر في: ١٤٤٣/٧/١

- ◆ حصل على الماجستير في: قسم الفقه في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية. بأطروحته: المَطْلَبُ العَالِي فِي شَرْحِ وَسَيْطِ الإِمَامِ العَزَائِي لِابْنِ الرَّفْعَةِ ت (٧١٠ هـ) مِنْ بَدَايَةِ: كِتَابِ الشُّفْعَةِ، إِلَى نِهَائِيَةِ: الفَصْلِ الأوَّلِ مِنَ البَابِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الكِتَابِ وَفِيهِ: (فِيمَا يَحْصُلُ بِهِ المِلْكُ) دِرَاسَةٌ وَتَحْقِيقًا.
- ◆ وحصل على الدكتوراه في: قسم التفسير في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية. بأطروحته: القَوْلُ الوَجِيزُ فِي أَحْكَامِ الكِتَابِ العَزِيزِ لِلسَّمِينِ الحَلَبِيِّ (ت ٧٥٦ هـ) مِنْ بَدَايَةِ كَلَامِهِ عَلَى الآيَةِ رَقْم (٥) مِنْ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى نِهَائِيَةِ كَلَامِهِ عَلَى الآيَةِ رَقْم (٦٧) مِنْ سُورَةِ النُّحْلِ، دِرَاسَةٌ وَتَحْقِيقًا.

النتاج العلمي:

- ◆ أرجى آية في القرآن الكريم.
- ◆ الشواهد الشعرية على غريب القرآن من مُعلِّقَةِ عنترَةَ بنِ شَدَاد.
- ◆ الشواهد الشعرية على غريب القرآن من مُعلِّقَةِ زُهَيْرِ بنِ أَبِي سَلْمَى.
- ◆ الشواهد الشعرية على غريب القرآن من مُعلِّقَةِ عمرو بن كلثوم.
- ◆ قَاعِدَةٌ: (المُعَامَلَةُ بِنَقِيضِ القَصْدِ الفَاسِدِ) وَتَطْبِيقَاتُهَا عِنْدَ المُفَسِّرِينَ.
- ◆ مُنَاسِبَةُ القَصَصِ فِي سُورَةِ (ص) لِمَقْصِدِ السُّورَةِ.
- ◆ تَدَارُسُ القُرْآنِ الكَرِيمِ عِنْدَ القُرُونِ المُفَضَّلَةِ مَرَاتِبُهُ وَأَحْوَالُهُ وَفَوَائِدُهُ.

◆ البريد الشبكي: abohithm@gmail.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المستخلص

يتناول بحثُ (سُنَنِ اللَّهِ فِي قِصَّةِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) استنباطَ سُنَنِ اللَّهِ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَدِرَاسَتَهَا، وَاشْتَمَلَ الْبَحْثُ عَلَى مَبْحَثَيْنِ: الْمَبْحَثِ الْأَوَّلِ: مَدْخُلٌ لِدِرَاسَةِ سُنَنِ اللَّهِ، وَاشْتَمَلَ عَلَى تَعْرِيفِ السُّنَنِ وَهِيَ: الْقَوَائِنُ الْمُطَرِّدَةُ الَّتِي وَضَعَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَعَلَى مَخْلُوقَاتِهِ، الْمَقْطُوعُ بِتَحَقُّقِهَا مَا لَمْ يَعْضُ لَهَا مَانِعٌ، وَتَمَّ بَيَانُ أَنْوَاعِهَا، وَسُبُلُ مَعْرِفَةِ السُّنَنِ وَفَوَائِدُ مَعْرِفَتِهَا، وَالْمَبْحَثِ الثَّانِي: تَمَّتْ دِرَاسَةُ السُّنَنِ الْمَسْتَنْبَطَةِ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَذَلِكَ فِي سِتَّةِ مَطَالِبَ: السُّنَنِ الْمُتَعَلِّقَةُ بِاللَّهِ، وَبِالْإِيمَانِ، وَبِالدَّعْوَةِ، وَبِالنَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ، وَبِالْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، وَبِالْجَزَاءِ.

وقد سارَ منهجُ الدِّرَاسَةِ: عَلَى الْمَنْهَجِ الْاسْتِقْرَائِيِّ وَالِاسْتَنْبَاطِيِّ وَالتَّحْلِيلِيِّ، وَنَوْعِ الدِّرَاسَةِ: نَظْرِيَّةً مَكْتَبِيَّةً،

وأهمُّ النَّاتِجِ: عَدَدُ السُّنَنِ الَّتِي تَمَّ اسْتَنْبَاطُهَا وَدِرَاسَتُهَا: (٦٨) سُنَّةً، وَقَدْ تَمَّ دِرَاسَتُهَا فِي (٦) مَحَاوِرَ، مِنْهَا (٦٤) سُنَّةً كَلِّبِيَّةً، وَ(٤) سُنَنِ أَعْلِيَّةً، وَكُلُّ هَذِهِ السُّنَنِ قَائِمَةٌ عَلَى عَدْلِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ ﷻ، وَالْمُسْلِمُونَ بِحَاجَةٍ إِلَى مَعْرِفَةِ سُنَنِ اللَّهِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهَا، وَمِنْ أَهَمِّ مَا يَنْبَغِي التَّمَسُّكُ بِهِ مِمَّا تَتَضَمَّنُهُ تِلْكَ السُّنُنُ: أَنَّ الصَّبْرَ مِنْ أَسْبَابِ التَّمَكِينِ وَحُسْنِ الْعَاقِبَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ أَعْطَى الْأَمْنَ وَالْمَعِيَّةَ وَالرَّعَايَةَ لِأَوْلِيَائِهِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ وَالتَّقْوَى سَبَبَانِ أَسَاسِيَّانِ لِاصْطِفَاءِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَالْإِيمَانَ مِنْ أَعْظَمِ



أسباب دفع البلاء، وأن اللين في الدعوة سبب في تقريب الناس لقبول الحق، وأن الله ينصر ويُنجِي ويُمكنُ عباده المؤمنين، وأن الشكر سبب للبركة، والمغفرة والتوفيق خاص بمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح، وإثابة الله للمُحسين وعدم إضاعته أجر من أحسن عملاً.

ومن أهم ما ينبغي تجنب الوقوع فيما تتضمنه تلك السنن: أن الشرك والظلم والطغيان من أسباب الهلاك والخسران، وأن الكفر بالله سبب لللعنة الله وغضبه وسبب لفسوة القلوب، وأن مكر وكيد أهل الباطل بأهل الإسلام إلى خسار، وأن الذي يصد عن دين الله ويحارب أولياءه، ينتقم الله منه، وأن العلم بدون عمل وبال على صاحبه، ومن تعنت وبدل وحرف شق الله عليه وعذبه، وأن من رضي بالباطل ولم يعمل شمله العقاب، وأن الكفر سبب لإحباط الأعمال، ومن يتول يستبدله الله بخير منه، ومن أراد أن يضُرَّ الله فإنما يضُرُّ نفسه، ومن نسي الله نسيه الله.

الكلمات المفتاحية: السنَّة، الإيمان، الكُفر، الجُزاء.





Allah's Unchanged Laws "Sonan" in the Story of Moses and the Israel's in the Holy Quran

Researcher

Dr. Saleh Thunayan Al- Thunayan

Associate Professor, College of the Holy Quran & Islamic Studies

Department of Interpretation & Quranic Sciences

Islamic University in Medina

Abstract

The current research "Allah's Unchanged Laws "Sonan" in the Story of Moses and the Israel's in the Holy Quran", deducts and studies Allah's Sonan from the story of Moses and the Israel's. The research is divided into two main sections:

Section One is an introduction to understand the Unchanged Laws of Allah, which is defined as: "Allah's unchanged laws He stipulated to govern Himself and His creations. These laws are definite to happen unless and hinder occurs". In addition, the research tackles the types of these Unchanged Laws, how to recognize them, and the benefits of knowing them. Section Two studied the Unchanged Laws deducted from the story of Moses and the Israel's; and will cover six subsections: the laws related to Allah, faith and beliefs, Calling to Allah, gaining victory and empowerment in the land, disbelief and rejection of faith, and rewards and punishments.

The research adopts the Inductive, Deductive and Analytical Methodologies. The study is theoretically library based.

The most significant findings: the number of Unchanged Laws (Sonan) extracted and studied are sixty-eight (68) distributed on six



(6) aspects, including sixty-four (64) considered as ‘Comprehensive’ and four (4) were deemed ‘Mostly Applicable’. All these Unchanged Laws are based on Allah’s Justice and wisdom -Glorified be Him-. What must be adhered of these unchanged laws “Sonon” include; Patience is one of the reasons for empowerment and good endings. Allah granted security, togetherness and care to the allies of Allah. Faith and Fearing Allah are two main reasons for gaining Allah’s selection and mercy. Kindness in call is a reason for helping people accept right. Allah grants victory to the faithful and empower them in this world. Thanking is a reason for blessing, forgiveness and guidance especially for those fathering between faith and good deeds. Allah will reward the good people and never allow the reward of any who did well in deeds to be lost.

The most significant aspects to be avoided which are included in these unchanged laws “Sonon”: Disbelief, injustice, and tyranny are of the reasons for loss and destruction. Disbelief is a cause of Allah’s curse and anger as well as being a reason for hearts’ cruelty. The plots of the evil people against the faithful shall be null. Those who try to prevent Allah’s light to reach all people and fight Allah’s alleys shall be punished. Knowledge without deeds are against holders of such knowledge. Those who alter, modify and change Allah’s religion shall be punished by Allah. Those who accept falsehood even if they do not do it shall be included in punishment. Disbelief is a reason for deeds to be worthless. Those who turn away from Allah’s path shall be replaced with better people. Whoever wants to harm Allah shall just themselves only and those who forget Allah do forget themselves in fact.

Keywords: Sonah, Allah’s Unchanged Laws, Faith, Disbelief, Judgment



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،
أما بعد..

لله ﷻ سُنَنٌ فِي الْكَوْنِ وَفِي مَخْلُوقَاتِهِ، حَيْثُ خَلَقَ اللَّهُ هَذَا الْخَلْقَ بِنِظَامٍ وَسُنَنِ دَقِيقَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [السجدة: ٧] فجعل للأفلاكِ سُنَنًا، وجعل للجُماداتِ سُنَنًا، وجعل للحيواناتِ سُنَنًا، وجعل للبشرِ والجنِّ سُنَنًا، قَدَّرَهَا وَخَلَقَهَا ﷻ فِي مَخْلُوقَاتِهِ، مَنْ عَرَفَهَا اطْمَأَنَّ نَفْسُهُ، وَمَنْ أَخَذَ بِهَا أَفْلَحَ وَنَجَا، وَمَنْ جَهَلَهَا تَحَيَّرَ وَتَرَدَّدَ، وَمَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِهَا خَابَ وَخَسِرَ.

وهذه السُّنَنُ شَامِلَةٌ عَامَّةٌ لَا تُحَابِي أَحَدًا وَلَا تُجَامِلُهُ، مَنْ أَخَذَ بِهَا مِنْ كَافِرٍ أَوْ مُسْلِمٍ أَوْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، انْطَبَقَتْ عَلَيْهِ، وَهِيَ مُسْتَمِرَّةٌ تَتَكَرَّرُ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ، فَمَعْرِفَةُ مَا حَلَّ بِالنَّاسِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، أَوْ غِنَى أَوْ فَقْرٍ، أَوْ نَصْرٍ أَوْ هَزِيمَةٍ، فَهِيَ بِسُنَنِ رَبَانِيَةٍ؛ وَلِأَنَّهَا تَتَكَرَّرُ فِيهَا بِحَاجَةٍ إِلَى مَعْرِفَتِهَا وَاسْتِنْبَاطِهَا وَدِرَاسَتِهَا، وَأَجَلُ الْكُتُبِ الَّتِي تُدْرَسُ فِيهَا السُّنَنُ وَتَسْتَنْبَطُ مِنْهُ هُوَ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

وقد وقع الاختيارُ على دراسة السُّنَنِ فِي قِصَّةِ مُوسَى ﷺ، وَذَلِكَ أَنْ مُوسَى ﷺ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَقْرَبِ الْأُمَّمِ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ، فِي الزَّمَنِ وَفِي الْعَادَاتِ وَالطَّبَائِعِ، وَهِيَ أَكْثَرُ قِصَّةٍ تَكَرَّرَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَذَلِكَ لِمَا فِيهَا مِنَ الْعِبَرِ وَالْعِظَاتِ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ.



وقد كان النبي ﷺ إذا أُوذِيَ يَقُولُ: «رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبْرٌ» (١).

وقد أمر الله نبيّه موسى أن يُدكّر قومه بِسُنَنِ اللَّهِ التي جَرَتْ على مَنْ قبلَهُم مِنَ الناسِ، وأن يَتَعظُوا وَيَعْتَبِرُوا بها، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

قال ابن تيمية: وَعَهْوُدُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ تَنَالُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَا نَالَتْ أَوْلَهَا، وَإِنَّمَا قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا قِصَصَ مَنْ قَبَلَنَا مِنَ الْأُمَمِ لِتَكُونَ عِبْرَةً لَنَا، فَتَشَبَّهُ حَالَنَا بِحَالِهِمْ وَنَقِيسُ أَوَاخِرِ الْأُمَمِ بِأَوَائِلِهَا. فَيَكُونُ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ شَبَهُ بِمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَيَكُونُ لِلْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ شَبَهُ بِمَا كَانَ لِلْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ (٢).

والغرض من هذا البحث معرفة سُنَنِ اللَّهِ الواردة في قصة موسى وبني إسرائيل؛ لأخذ العظة والعبرة، والحرص على السُنَنِ التي فيها الفلاح والنصر والتوفيق، والابتعاد عن السُنَنِ التي فيها أسباب الهلاك والخسران.

وفيما يلي: أهمية البحث. أهداف البحث. الدراسات السابقة. حدود البحث.

خطة البحث. منهج البحث.

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ: الْمَغَازِي، بَابُ: غَزْوَةُ الطَّائِفِ، (رقم ٤٣٣٦)، ومُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ: الزَّكَاةِ، بَابُ: إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبَّرَ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ، (رقم ١٠٦٢).

(٢) انظر: فتاوى ابن تيمية (٤٢٦/٢٨).



♦ أولاً: أهمية البحث.

١- دراسة السنن الإلهية تُعين على الأخذ بالأسباب والسنن التي فيها الفلاح والنصر والتمكين.

٢- دراسة السنن الإلهية تُعين على الحذر من الوقوع في السنن التي فيها هلاك الناس وضررهم، كما وقع للأمم السابقة المكذبة.

٣- معرفة السنن تزيد الإيمان بالله وقضائه وقدره، وأنه ﷻ خَلَقَ الخلق بنظامٍ وُسُننٍ منتظمةٍ ليس فيها خللٌ ولا جورٌ.

٤- أخذ العبرة والعظة؛ ولذا حثَّ الله ﷻ بأخذ العبرة والعظة من القصص الواردة في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، ﴿لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَالِمَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣]، هذه الآية تدلُّ على أهمية تدبر قصة موسى، واستنباط الفوائد والأحكام والسنن.

٥- أن بني إسرائيل من أكثر الأمم شَبَهَا بِأمة الإسلام، قال رسول الله ﷺ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شَبْرًا شَبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قلنا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «فَمَنْ»^(١)، فدراسة السنن التي ذُكِرَتْ في قصصهم وأحوالهم، له أهمية كبيرة لكثرة أوجه الشبه بين الأممين.

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ: أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ: مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، (رقم ٣٤٥٦)، ومُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ، الْعِلْمِ، بَابُ: اتِّبَاعِ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، (رقم ٢٦٦٩).

♦ ثانيًا: أهداف البحث.

- ١- تحرير مفهوم سُنَنِ اللَّهِ في الشريعة الإسلامية.
- ٢- الوقوف على سُنَنِ اللَّهِ في قصة موسى ﷺ وبنِي إِسْرَائِيلَ.
- ٣- العمل بموجب سننِ اللَّهِ وتطبيق ما ينتج منها من فلاحٍ وخيرٍ، وتجنب ما ينتج منها من هلاكٍ وشرٍّ.

♦ ثالثًا: الدراسات السابقة.

لم أقف على من دَرَسَ وَكَتَبَ في السُّنَنِ الإلهية في قصة موسى ﷺ، ولكن وقفت على دراساتٍ عامّةٍ ومتنوعةٍ في السُّنَنِ الدينية والسُّنَنِ الطبيعية، وأهمُّها:

- ١- مفهوم السُّنَنِ الرَّبَّانِيَّةِ دراسةً في ضوء القرآن الكريم، للدكتور رمضان خميس زكي.
- ٢- سُنُنُ اللَّهِ في الأمم من خلال آيات القرآن -دراسة موضوعية-، للدكتور حسن صالح الحميد.
- ٣- السُّنُنُ الإلهية في القرآن الكريم -أهميتها وخصائصها-، للدكتور داود بورقية.
- ٤- السُّنُنُ الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم، للدكتور توفيق بن أحمد الغلبزوري.
- ٥- سُنُنُ الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم، للدكتور بكار محمود الحاج.
- ٦- السُّنُنُ الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات والشعوب، للدكتور عبد الكريم زيدان.



٧- السُّنَنُ الإلهية مصادرها وضوابطها، للدكتور مجدي عاشور.

٨- السُّنَنُ الإلهية وخصائصها، وطرائق استنباطِ السُّنَنِ القرآنية، كلاهما

للدكتور رشيد كهوس.

٩- سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْأَسْبَابِ وَالْمَسَبِّاتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: دراسة تحليلية،

للدكتور إبراهيم بن بلال محمد الزهراني.

◆ رابعاً: حدود البحث.

استقراء سُنَنِ اللَّهِ التي وردت في قصة موسى ﷺ وبنِي إِسْرَائِيلَ، في القرآن الكريم.

◆ خامساً: خطة البحث.

- ملخص البحث.

- المقدمة.

- **المبحث الأول:** مدخل لسُنَنِ اللَّهِ. وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** تعريف السُّنَنِ.

- **المطلب الثاني:** أنواع سُنَنِ اللَّهِ ﷺ.

- **المطلب الثالث:** سُبُلُ معرفة السُّنَنِ وفوائدها معرفتها.

- **المبحث الثاني:** السُّنَنُ المُسْتَنْبَطَةُ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ. وفيه ستَّة

مطالب:

- **المطلب الأول:** السُّنَنُ المُتعلِّقة بِاللَّهِ ﷻ.



- **المطلب الثاني:** السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْإِيمَانِ.
- **المطلب الثالث:** السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالدَّعْوَةِ.
- **المطلب الرابع:** السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالنَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ.
- **المطلب الخامس:** السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْكَفْرِ وَالتَّكْذِيبِ.
- **المطلب السادس:** السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْجَزَاءِ.
- الخاتمة.
- فهارس المراجع والموضوعات.

◆ سادساً: منهج البحث. ◆

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والاستنباطي، والتحليلي، وقد سرتُ على المنهج التالي:

أذكر الآية، ثم أذكر السُّنَّةَ المُسْتَنْبَطَةَ منها، ثم أنقلُ أقوالَ المفسرين في بيانِ معنَى الآية إن احتجتُ إلى ذلك، ثم أُبينُ وجهَ دلالةِ الآية على السُّنَّةِ.





المبحث الأول:

مدخل لسُنن الله

المطلب الأول:

تعريف السُنن

أولاً: تعريف السُنن لغةً:

نبدأ بأصل الكلمة في اللغة، قال ابن فارس: السُّنُّ والنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرَدٌ، وَهُوَ جَرِيَانُ الشَّيْءِ وَإِطْرَاذُهُ فِي سُهُولَةٍ.. وَمِمَّا اشْتَقَّ مِنْهُ السُّنَّةُ، وَهِيَ السَّيْرَةُ. وَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: سِيرَتُهُ^(١).

جاءت لفظة «السُنن» في اللغة على معانٍ كثيرة، يُمكنُ تلخيصها ممَّا له علاقةٌ بالمعنى الاصطلاحي في ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول: السيرة والطريقة.

قال الجوهريُّ: السُّننُ: الطَّرِيقَةُ، يُقَالُ: اسْتَقَمَ فُلَانٌ عَلَى سَنَنِ وَاحِدٍ^(٢).

وقال ابن منظورٍ: وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ السُّنَّةِ وَمَا تَصَرَّفَ مِنْهَا، وَالْأَصْلُ فِيهِ الطَّرِيقَةُ وَالسَّيْرَةُ، وَإِذَا أُطْلِقَتْ فِي الشَّرْعِ فَإِنَّمَا يُرَادُ بِهَا مَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَنَهَى عَنْهُ وَنَدَبَ إِلَيْهِ قَوْلًا وَفِعْلًا مِمَّا لَمْ يَنْطِقْ بِهِ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ، وَلِهَذَا يُقَالُ فِي أدلة

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٦١).

(٢) انظر: الصحاح للجوهري (٥/٢١٣٨).



الشَّرْعُ: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، أَي: الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ (١).

وقال ابن منظور: وَفِي حَدِيثِ الْمَجُوسِ: «سُتُوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ» (٢)
أَي: خُذُوهُمْ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ وَأَجْرُوهُمْ فِي قَبُولِ الْجَزِيَّةِ مُجْرَاهُمْ (٣).

وقال الفيروزآبادي: وَالْأَصْلُ فِيهَا الطَّرِيقَةُ وَالسَّيْرَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ سَنَّ
سُنَّةً حَسَنَةً» (٤)، أَي: طَرَّقَ طَرِيقَةً حَسَنَةً (٥).

المعنى الثاني من معاني السُنَنِ فِي اللُّغَةِ: الْقَانُونُ وَالْحُكْمُ الثَّابِتُ.

قال ابن منظور: وَسُنَّةُ اللَّهِ: أَحْكَامُهُ وَأَمْرُهُ وَنَهْيُهُ (٦).

وقال ابن كثير: وَقَوْلُهُ: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ [الأحزاب: ٣٨] أَي: هَذَا
حُكْمُ اللَّهِ فِي الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ (٧).

(١) انظر: لِسَانِ الْعَرَبِ لابن منظور (١٣/ ٢٢٥).

(٢) رَوَاهُ مَالِكٌ فِي مَوْطِئِهِ: كِتَابُ: الزَّكَاةِ، بَابُ: جَزِيَّةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمَجُوسِ، (رقم ٩٦٨) وعبد الرزاق
في مصنفه: كِتَابُ: أَهْلِ الْكِتَابِ، بَابُ: أَخْذِ الْجَزِيَّةِ مِنَ الْمَجُوسِ، (رقم ١٠٠٢٥) وابن أبي شيبة في
مصنفه: كِتَابُ: الزَّكَاةِ، بَابُ: فِي الْمَجُوسِ يُؤْخَذُ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْجَزِيَّةِ، (رقم ١٠٧٦٥) والبيهقي
في السنن الكبرى: كِتَابُ: الْجَزِيَّةِ، بَابُ: الْمَجُوسُ أَهْلُ كِتَابٍ وَالْجَزِيَّةُ تُؤْخَذُ مِنْهُمْ، (رقم ١٨٦٥٤)
عن عبد الرحمن بن عوفٍ ﷺ، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (رقم ١٢٤٨).

(٣) انظر: لِسَانِ الْعَرَبِ لابن منظور (١٣/ ٢٢٥).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ: الزَّكَاةِ، بَابُ: الْحَثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا
حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، (رقم ١٠١٧) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ.

(٥) انظر: بصائر ذوي التَّمْيِيزِ للفيروزآبادي (٣/ ٢٦٧).

(٦) انظر: لِسَانِ الْعَرَبِ لابن منظور (١٣/ ٢٢٥).

(٧) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٧).



قال الرازي: وَأَمَّا السُّنَّةُ فَهِيَ الطَّرِيقَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ وَالْمِثَالُ الْمُتَّبَعُ^(١).

وقال رشيد رضا: السُّنَنُ جَمْعُ سُنَّةٍ، وَهِيَ الطَّرِيقَةُ الْمُعَبَّدَةُ وَالسَّيْرَةُ الْمُتَّبَعَةُ أَوْ الْمِثَالُ الْمُتَّبَعُ، قِيلَ: إِنَّهَا مِنْ قَوْلِهِمْ: سَنَّ الْمَاءَ إِذَا وَالَى صَبَّهُ، فَشَبَّهَتِ الْعَرَبُ الطَّرِيقَةَ الْمُسْتَقِيمَةَ بِالْمَاءِ الْمَصْبُوبِ، فَإِنَّهُ لِيَتَوَالِي أَجْزَائِهِ عَلَى نَهْجٍ وَاحِدٍ يَكُونُ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ^(٢).

وقال أحمد مختار: سُنَّةُ الطَّبِيعَةِ: قَانُونُهَا وَنَامُوسُهَا^(٣).

وتأتي بمعنى: القانون الماضي في الخلق^(٤)، إِذَا أُضِيفَتْ إِلَى اللَّهِ ﷻ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

المعنى الثالث من معاني السُّنَنِ فِي اللُّغَةِ: البَيَان.

قال ابن منظور: وَسَنَّهَا اللَّهُ لِلنَّاسِ: بَيَّنَّهَا، وَسَنَّ اللَّهُ سُنَّةً أَيْ بَيَّنَّ طَرِيقًا قَوِيمًا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ [الأحزاب: ٦٢]؛ نَصَبَ سُنَّةَ اللَّهِ عَلَى إِرَادَةِ الْفِعْلِ، أَيْ سَنَّ اللَّهُ ذَلِكَ فِي الَّذِينَ نَافَقُوا الْأَنْبِيَاءَ وَأَرْجَفُوا بِهِمْ أَنْ يُقْتُلُوا أَيْنَ تُقْفُوا، أَيْ وَجِدُوا^(٥).

وعلى ضوء ما سبق: فإن لفظة «السُّنَنِ» وما تصرف منها تدلُّ في اللُّغَةِ عَلَى: القانون، والحُكْمِ الثَّابِتِ، والطَّرِيقِ الْمَحْدَدَةِ الْوَاضِحَةِ الْبَيِّنَةِ، الْمَتَكَرِّرَةِ وَالْمَتَّبَعَةِ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ.

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٣٦٩/٩).

(٢) انظر: تفسير المنار لمحمد رشيد (١١٥/٤).

(٣) انظر: مُعْجَمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَعَاوِرِ (١٢٢/٢).

(٤) انظر: التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ لِابْنِ عَاشُورِ (٩٧/٤).

(٥) انظر: لِسَانُ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنظُورِ (٢٢٥/١٣).



♦ ثانيًا : تعريف سنن الله شرعًا :

للسُّنَنِ وَالسُّنَّةِ عَدَّةٌ تَعْرِيفَاتٍ عِنْدَ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ، فَالسُّنَّةُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْعَقِيدَةِ تُطْلَقُ عَلَى مَا يُقَابِلُ الْبَدْعَةَ^(١)، وَالسُّنَّةُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَالْمِصْطَلَحِ: مَا أُضِيفَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ أَوْ وَصْفٍ^(٢)، وَالسُّنَّةُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْفِقْهِ وَأَصُولِهِ مُرَادِفٌ لِلْفِطْيَةِ: الْمُنْدُوبِ وَالْمُسْتَحَبِّ، وَهُوَ: مَا طَلَبَ الشَّارِعُ فِعْلَهُ لَا عَلَى وَجْهِ الْإِلْزَامِ^(٣).

وَيُلَاحَظُ فِي كُلِّ مَا سَبَقَ: أَنَّ عُلَمَاءَ الْعَقِيدَةِ وَعُلَمَاءَ الْفِقْهِ وَأَصُولِهِ يُطْلَقُونَ السُّنَّةَ فِي الْغَالِبِ بَدُونَ إِضَافَةٍ إِلَى لَفْظَةٍ أُخْرَى، إِمَّا بِالْتَعْرِيفِ أَوْ التَّنْكِيرِ، وَعُلَمَاءُ الْحَدِيثِ وَالْمِصْطَلَحِ يُطْلَقُونَهَا إِمَّا مُفْرَدَةً أَوْ مُضَافَةً إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

وَالسُّنَّةُ الْمَقْصُودَةُ فِي هَذَا الْبَحْثِ هِيَ: السُّنَّةُ الَّتِي تُضَافُ إِلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ: (سُنَّةُ اللَّهِ) وَ(سُنَنِ اللَّهِ)، أَوْ تَوْصَفُ بِوَصْفِ: السُّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ أَوْ السُّنَنِ الرَّبَّانِيَّةِ أَوْ السُّنَنِ الْكُونِيَّةِ وَنَحْوِهَا، وَخَاصَّتْ إِلَى تَعْرِيفِهَا بِأَنَّهَا:

الْقَوَائِنُ الْمُطَّرَدَةُ الَّتِي وَضَعَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَعَلَى مَخْلُوقَاتِهِ، الْمَقْطُوعُ بِتَحَقُّقِهَا مَا لَمْ يَعْرِضْ لَهَا مَانِعٌ.

♦ شرح التعريف :

القوانين: جمع قانون، وهو: أمرٌ كُلِّيٌّ يَنْطَبِقُ عَلَى جَمِيعِ جُزْئِيَّاتِهِ الَّتِي تَتَعَرَّفُ

(١) انظر: السُّنَّةُ لابن أبي عاصم (٢/٦٤٥)، فتاوى ابن تيمية (٢٨/١٧٨).

(٢) انظر: المختصر في أصول الحديث للجرجاني (ص ٤٠)، مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ لابن عثيمين (ص ٥).

(٣) انظر: كشف الأسرار لعلاء الدين البخاري (٢/٣٠٢)، المحصول للرزاي (١/١٠٣).



أَحْكَامَهَا مِنْهُ^(١)، فَسُننَ اللهُ ﷺ أُمُورٌ كَلِيَّةٌ مَنْضُبَةٌ تَقَعُ عَلَى جُزْئِيَّاتِهَا، فَاللهُ جَعَلَ خَلْقَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ مِنْ مَاءٍ، فَهَذَا قَانُونٌ لَا يُوْجَدُ مَخْلُوقٌ حَيٌّ إِلَّا وَقَدْ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ، وَقَانُونٌ فَنَاءٌ كُلٌّ مِنْ فِي الْأَرْضِ، وَإِثَابَةُ الْمُحْسِنِ وَمُعَاقِبَةُ الْمُسِيءِ جَعَلَهُمَا اللهُ قَانُونَيْنِ عَامِيَيْنِ لِكُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ.

المُطَرَّدَةُ: أَي: مُتَابَعَةٌ جَارِيَةٌ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ اتَّبَعَ بَعْضُهُ بَعْضًا فَقَدْ اطَّرَدَ، وَاطَّرَدَ الشَّيْءُ اطَّرَادًا إِذَا: تَابَعَ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَأَمْرٌ مُطَرَّدٌ: مُسْتَقِيمٌ عَلَى جِهَتِهِ^(٢).

المَقْطُوعُ بِتَحَقُّقِهَا مَا لَمْ يَعْضُ لَهَا مَانِعٌ: أَي أَنَّهَا لَا بُدَّ أَنْ تَتَحَقَّقَ وَتَقَعُ هَذِهِ السُّننُ وَيَتَحَقَّقَ مَا رَبَّتْهُ عَلَيْهَا، مِنْ الْجِزَاءِ وَالتَّاتِجِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ ﷺ لِبَعْضِ السُّنَنِ عَوَارِضَ وَمَوَانِعَ، فَإِذَا ثَبَتَ الْمَانِعُ انْتَفَى وَقُوعُ السُّنَنِ، مِثْلُ: أَنْ يَتُوبَ الظَّالِمُ فَتَنْتَفِي عَنْهُ سُنَّةُ الْإِهْلَاكِ، أَوْ يَعْصِي الصَّالِحُ فَتَنْتَفِي عَنْهُ سُنَّةُ النَّصْرِ.

وَجَعَلَ اللهُ ﷺ غَالِبَ سُنَنِهِ: مُطَرَّدَةً بِشَكْلِ عَامٍّ، وَجَعَلَ بَعْضَهَا مُطَرَّدَةً بِشَكْلِ أَغْلِبِيٍّ، أَي: جَعَلَ مِنْ طَبِيعَةِ هَذِهِ السُّنَنِ أَنَّهَا سُنَّةٌ أَغْلِبِيَّةٌ، وَلَمْ أَجِدْ مِنْ قَالَ: إِنْ هُنَاكَ سُنَنًا أَغْلِبِيَّةً، فَكُلٌّ مِنْ وَقَفْتُ عَلَيْهِ يَذْكَرُ أَنَّهَا سُنَنٌ مُطَرَّدَةٌ عَامَّةٌ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ بِالنِّسْبَةِ لِأَغْلِبِ السُّنَنِ الَّتِي وَضَعَهَا اللهُ ﷺ فِي الْكُونِ وَالْخَلْقِ، وَلَكِنَّهُ ﷺ وَضَعَ سُنَنًا أَغْلِبِيَّةً، وَلِهَذَا السُّنَنِ الْأَغْلِبِيَّةُ عَدَّةٌ أَمْثَلَةٌ أَذْكَرُ مِنْهَا مِثَالَيْنِ:

(١) انظر: التَّعْرِيفَاتُ لِلجُرْجَانِي (ص ١٧١)، التَّوْقِيفُ عَلَى مُهْمَاتِ التَّعَارِيفِ لِلْمَنَاوِي (٢٦٦)، الْكَلِيَّاتُ لِأَبِي الْبَقَاءِ (ص ٧٣٤).

(٢) انظر: جَمَهْرَةُ اللُّغَةِ لِابْنِ دَرِيدٍ (٢ / ٦٣١)، لِسَانَ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنظُورٍ (٣ / ٢٦٨)، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ لِأَزْهَرِيِّ (١٣ / ٢١٣)، الصَّحَاحُ لِلجَوْهَرِيِّ (٢ / ٥٠٢)، مَقَايِيسُ اللُّغَةِ لِابْنِ فَارِسٍ (٣ / ٤٥٥).



المثال الأول: أَنْ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ ﷻ: أَنْ الْمَلَأَ وَأَشْرَافَ النَّاسِ وَأَغْنِيَاءَهُمْ وَأَثْرِيَاءَهُمْ، هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ بُعْدًا عَنْ قَبُولِ دِينِ اللَّهِ ﷻ، وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْمَعْنَى فِي قِصَصٍ كَثِيرَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلَكِنْ هَلْ يُقَالُ: إِنَّ هَذِهِ سَنَةٌ مَطْرُدَةٌ عَامَّةٌ؟ فَلَا يَتَّبِعُ الْأَنْبِيَاءَ إِلَّا الْفُقَرَاءُ؟ بَلَى، وَلِذَا فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَبِعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ﷺ وَهُمَا مِنْ أَشْرَافِ قَرِيشٍ وَأَثْرِيائِهِمْ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ ﷺ وَالتَّمِيمِيُّ وَهُوَ مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ، وَالطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَالدَّوْسِيُّ ﷺ وَهُوَ مِنْ سَادَاتِ الْيَمَنِ، وَسَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ سَيِّدِ الْخَزْرَجِ ﷺ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدِ الْأَوْسِ ﷺ، فَكُلُّ هَؤُلَاءِ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ وَهُمْ مِنَ الْمَلَأِ وَعَلِيَّةِ الْقَوْمِ.

المثال الثاني: سَنَةٌ أَنْ أَكْثَرَ النَّاسِ يَقْعُونَ فِي الْكُفْرِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَإِنْ تُطْعَمَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] وهذا ما يُصَدِّقُهُ التَّارِيخُ وَالْوَاقِعُ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

وفي البحث: أَرْبَعُ سُنَنِ أَغْلِبِيَّةٍ، تَمَّ بَيَانُهَا فِي مَوْضِعِهَا.





المطلب الثاني:

أنواع سُنن الله ﷻ

◆ أولاً: السُنن الطبيعية:

وهي: القانون الذي وَضَعَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ، وَقَدَّرَهُ عَلَى جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ.

وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا: السُّننُ الإِلَهِيَّةُ، وَالكَوْنِيَّةُ، وَالْقَدْرِيَّةُ، وَسُننُ الآفَاقِ، وَسُننُ الكونِ.

وَالسُّننُ الطَّبِيعِيَّةُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

١- سُننُ إلهية وضعها الله لنفسه مُطلقاً: مثل: العدل، والصدق، والحكمة، والاستثثار بعلم الغيب، ويدخل فيها كُلُّ أسماءِ الله وصفاته، عَن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي» (١).

٢- سُننُ إلهية وضعها الله لنفسه على: الكونِ مُطلقاً وعلى الجمادات: مثل: تَقْلِيْبِ الليل والنهار، وطلوع الشمس والقمر، وحركة الكواكب والنجوم، وتسييح المخلوقات.

٣- سُننُ إلهية وضعها الله لنفسه على: كُلِّ ذِي رُوحٍ مِنَ المَخْلُوقَاتِ: مثل: البعث بعد الموت، وخلق كُلِّ ذِي رُوحٍ مِنْ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، والرزق (٢).

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ: الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْآدَابِ، بَابُ: تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، (رقم: ٢٥٥٧).

(٢) وَالرُّزْقُ لَهُ نَوَاعَانُ: الْأَوَّلُ: أَنَّ الْأَصْلَ فِي الرُّزْقِ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ وَمُقَدَّرٌ لِجَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ لَيْسَ لِمَكْلُوفٍ فِيهِ سَبَبٌ، وَالنَّوْعُ الثَّانِي: رِزْقٌ يَأْتِي بِسَبَبٍ وَهُوَ الْبَرَكَةُ فِيهِ وَكَثْرَتُهُ، فَهَذَا مُسَبَّبُهُ الْإِيمَانُ وَالتَّقْوَى، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَأْمَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦] ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].



وتتميّز هذه السُّنَنُ بأنها: خارجةٌ عن إرادةِ الإنسانِ، وأنها عامّةٌ وليس فيها سُنَّةٌ أغلبيّةٌ.

◆ ثانياً: السُّنَنُ الدِّينِيَّةُ :

وهي: القانون الذي وَضَعَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ فِي مَعَامَلَتِهِ لِلْمَكْلُفِينَ.

ويُطْلَقُ عَلَيْهَا: السُّنَنُ الشرعيّةُ، والرَّبَّانِيَّةُ، والاجتماعيّةُ، وسُنَنُ الأَنْفُسِ.

والسُّنَنُ الدِّينِيَّةُ نوعان:

١- سُنَنٌ وَضَعَتْ لِلْمَكْلُفِينَ، وليس لهم فيها إرادةٌ أو يدٌ أو تسبُّبٌ:

وهي: القانون الذي وَضَعَهُ اللهُ لِلْمَكْلُفِينَ مُطْلَقًا.

مثل سُنَّةِ: الابتلاءِ، والاستدراجِ، والإمهالِ، والمداولةِ، والتسخيرِ، والتمييزِ بين الخبيث والطيبِ، ونصر المظلومِ، وعدم هداية كيدِ الخائنِ، ومجيء اليُسْر مع العُسْر، وسنة إقامة الحجّةِ بإرسالِ الرُّسُلِ، والتدافع بين الحقِّ والباطلِ، ونحو ذلك.

٢- سُنَنٌ وَضَعَتْ لِلْمَكْلُفِينَ وَجُعِلَ لَهَا سَبَبٌ، إن أُخِذَ بِهِ حَصَلَ الْمُسَبَّبُ وَإِلَّا فَلَا.

وهي: القانون الذي وَضَعَهُ اللهُ لِلْمَكْلُفِينَ، وَجُعِلَ لَهُ سَبَبٌ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ انطَبَقَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَرَكَهُ لَمْ يَنْطَبِقْ عَلَيْهِ.

مثل سُنَّةِ: النصرِ لِمَنْ طَاعَ اللَّهَ، والهزيمة لمن عصاه ﷺ، وإعطاء الشاكر ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وتعذيب الكافر ﴿وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، والاستبدال ﴿وَلَنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]،



والتغيير ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، والاتحاد قوة والتفرق ضعف، والتدرج لحصول المقصود، والاصطفاء^(١)، وإثابة المطيع ومُجازاة العاصي ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

وتتميز السُّننُ الدينيَّة بعدة ميزات:

الأولى: أنها في نطاق تأثير الإنسان وتكليفه، بل هو مأمورٌ بالأخذِ بها، وليست خارجةً عن إرادة الإنسان كما في السُّننِ الطبيعيَّة.

الثانية: أن منها ما هو قطعيُّ الثبوتِ ومنها ما هو أغلبيُّ، كما سبق تقريره في شرح التعريف.

الثالثة: أن من السُّننِ ما له نتيجةٌ واحدةٌ، وذلك مثل سنة: الاستبدال، ومنها ما له عدة نتائج، لا بد من وقوع أحدها حسب ما تقتضيه حكمة الله ﷻ، وبعض هذه العقوبات قد تترجح بمرجحات، كمن انتشرت عندهم الفواحش فيترجح معاقبتهم بالأمراض التي لم تكن فيمن قبلهم، كما ورد في حديث ابنِ عمرَ ﷺ قال: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشْنَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا...»^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ

(١) الاصطفاء بالنسبة للأنبيا، ليس لهم فيه إرادةٌ وتسببٌ، وبالنسبة لبقية الناس فيه إرادةٌ وتسببٌ، فمن عبد الله وأصلح عمله واجتهد في عبادته وإخلاصه، اصطفاه ﷻ.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب العُقوبات، (رقم ٤٠١٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٦/١).



اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿ [الرعد: ٣١] قال الطبري: وَلَا يَزَالُ يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِكَ تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا، مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ، وَإِخْرَاجِهِمْ لَكَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ قَارِعَةً، وَهِيَ مَا يُفْرِعُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْعَذَابِ وَالنِّقَمِ، بِالْقَتْلِ أَحْيَانًا، وَبِالْحُرُوبِ أَحْيَانًا، وَالْقَحْطِ أَحْيَانًا، أَوْ تَحُلُّ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ، يَقُولُ: أَوْ تَنْزِلَ أَنْتَ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ بِجَيْشِكَ وَأَصْحَابِكَ (١).

وكذلك نتائج سنّة الكفر والتكذيب، إمّا أن تكون بالإهلاك، أو الإذلال، أو الإغراق، أو الابتلاء بالفقر، أو الابتلاء بالمرض، أو تجتمع كلها أو بعضها، حسب ما تقتضيه حكمة الله ﷻ.

هل للسنن الطبيعية والدينية موانع وعوارض؟

نعم، ما عدا ما يتعلّق بصفات الله ﷻ، فكل سنة كونية وشرعية قد يعرّض لها مانع أو عارض، فمن سنن الله الكونية: جريان الشمس بوقت دقيق لا تتقدم عليه ولا تتأخر، كما قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨] ولكن عرّض لها عارض فحبسها الله لنبيه يوشع، وذلك في حديث أبي هريرة ؓ، والشاهد فيه قوله ﷺ: «فَعَزَا فَاذْنِي لِلْقُرْيَةِ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: أَنْتِ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ، احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئًا، فَحَبَسَتْ عَلَيْهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ» (٢). وكذلك ما يعرّض لأحوال الطقس من السيول والأمطار وإنبات الأرض، بفعل الطّاعات وصلاة الاستسقاء، وما يعرّض كذلك لأحوال الطقس من الجذب والقحط، بفعل المعاصي وانتشار المنكرات والفواحش.

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٣/٥٣٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب: الجهاد والسير، باب: تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصّة، (رقم: ١٧٤٧).



وقد يَعْرِضُ للسُّنَّةِ الشرعيةِ عَارِضٌ أو مانعٌ، فلا تنطبق تلك السُّنَّةُ لوجود مانعٍ، ومثاله: مِنْ سُنَنِ اللهِ: نصرٌ أوليائه، ولكن لم يتحقق النصرُ لنبينا محمدٍ ﷺ وصحابته الكرام في غزوةٍ أحدٍ؛ وذلك لِمُخَالَفَتِهِمُ اللهُ ورسوله ﷺ.

ولذا نستنتجُ أَنَّ السُّنَنَ الدِّينيةَ والاجتماعيةَ تُؤثِّرُ في السُّنَنِ الطَّبِيعيةِ في القسمين الثاني والثالث منها، وأما القسم الأول: وهي السُّنَنُ التي وضعها اللهُ لنفسه مطلقاً فلا يستطيعُ أحدٌ أن يُؤثِّرَ فيها شيئاً، وذلك أَنَّ اللهُ ﷻ يقول: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الباقية: ١٣]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآبِّينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣] فكلُّ ما في الكون، وكلُّ ما خلق اللهُ ﷻ إنّما هو لأجلِ المُكَلِّفِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فلا غرابة أن تكون السُّنَنُ الدِّينيةَ والاجتماعيةَ مؤثِّرةً في السُّنَنِ الطَّبِيعيةِ والكونيةِ التي وضعها اللهُ في الكون وجعلها مُسَخَّرَةً لِلْإِنْسَانِ.

قال ابن تيمية - بعد أن تكلم عن السُّنَنِ الشرعيةِ وأدلتها-: فَهَذِهِ كَلِّهَا تَتَعَلَّقُ بأوليائه كمطيعيه، وعصاته كالمؤمنين والكافرين، فسنته في هؤُلاءِ إكرامهم، وسنته في هؤُلاءِ إهانتهم وعقوبتهم.. وهذه السُّنَنُ كَلِّهَا سَنَنٌ تَتَعَلَّقُ بِدِينِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، ووعدته ووعيدته، وَلَيْسَتْ هِيَ السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْأُمُورِ الطَّبِيعيةِ كسنته في الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعَادَاتِ، فَإِنَّ هَذِهِ السُّنَنَةَ يَنْقُضُهَا إِذَا شَاءَ بِمَا شَاءَ مِنَ الْحِكْمِ، كَمَا حَبَسَ الشَّمْسَ عَلَى يُوسُفَ، وكما شقَّ الْقَمَرَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، وكما مَلَأَ السَّمَاءَ بِالشُّهُبِ، وكما أَحْيَا الْمَوْتَى غَيْرَ مَرَّةٍ، وكما جعل الْعَصَا حَيَّةً، وكما أَنْعَى الْمَاءَ مِنَ الصَّخْرَةِ بَعْصًا، وكما أَنْعَى الْمَاءَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ الرَّسُولِ ﷺ (١).

(١) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ٥٠).



المطلب الثالث:

سُبُلُ مَعْرِفَةِ السُّنَنِ وَفَوَائِدُ مَعْرِفَتِهَا

◆ أولاً: سُبُلُ وَطُرُقُ مَعْرِفَةِ السُّنَنِ:

١- النص عليها بأنها سُنَّةٌ، وقد جاءت لفظة السُّنَّةِ في: (١٦) موضعاً من القرآن، (٩) صيغ أُضِيقتُ للفظِ الجلالة، و(٥) صيغ أُضِيقتُ إلى الأولين، وصيغة واحدة أُضِيقتُ إلى الرسل، وصيغة واحدة جاءت نكرةً بلا إضافة.

ونذكر مثلاً واحداً لذلك: قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ أَلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥].

٢- ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج، قال ابن تيمية: فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات^(١). قال تعالى في سنة الإهلاك: ﴿وَلَا تَرْكُؤْا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ [طه: ٨١]، ﴿وَصُرِّبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ كَأَنُؤَا كُفْرُونَ يَكَايِدُ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ النَّيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَأَنُؤَا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

٣- ذكر عملٍ معينٍ وما يترتب عليه، بأسلوب الشرط وجوابه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية (٨/ ٧٠).



إِن تَصْرُواُ اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُيَسِّرْ لَكُمْ أَسْرَارَكُمْ ﴿٧﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦].

٤- ذكرُ الجزاءِ على عملٍ مُّعين، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِّنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ [المائدة: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿فَأَثْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ [المائدة: ٨٥].

٥- ذِكْرُ الْمُقْتَضِي لِلْحُكْمِ أَوْ ذِكْرُ الْحُكْمِ الْمَانِعِ مِنْهُ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ ﴿٥٩﴾ [الإسراء: ٥٩].

٦- وُرُودُ فِعْلِ اللَّهِ مَعَ تَعْلِيلِهِ، كقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ ﴿١٦٥﴾ [الأنعام: ١٦٥]، ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُغْضَبْنَ عَلَيْكُمْ إِذَا عَصَيْتُمْ وَإِنَّ كَيْدَ النِّسَاءِ لَشَدِيدٌ ﴿١٦٦﴾ [النساء: ١٦٦]، ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكَ لَهُمْ لَمَّا ظَمَمُوا ﴿٥٩﴾ [الكهف: ٥٩]، ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ [الأعراف: ١٣٦].

٧- الإخبارُ بصفةٍ على وجه العموم والاطِّراد، وغالبًا ما يكونُ في صفاتِ الله تعالى، كالعدل والصدق، والحكمة، والعلم، والعزة، والمغفرة، والرحمة، ونحوها، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ [النساء: ١٧]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾ [النساء: ٩٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ [يونس: ٤٤].

٨- القياسُ والتشبيهُ، وذلك بقياسِ حالةٍ بحالةٍ، أو صورةٍ بصورةٍ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١١﴾ [يوسف: ١١١]، قال ابنُ تيمية: وإنما تكونُ العبرةُ به بالقياسِ والتَّمثيلِ (١).

(١) انظر: النبوات لابن تيمية (٢/ ٩٦٣).



قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَذِّبُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا رَبَّهُمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَعْرَفْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَاذِبٍ أُولَئِكَ أَلْمَمِينَ ﴿٥٤-٥٣﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿٣٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿المرسلات: ١٦-١٨﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَوْمَ يَقُومُ إِلَيْنَا أَجْرُكُمْ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ مَثَلُ دَابَّ قَوْمٍ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ بِرَبِّدُ ظَالِمًا لِّلْعِبَادِ ﴿غافر: ٣٠-٣١﴾.

قال ابن تيمية: وَمِنْ هَذَا الْبَابِ صَارَتْ قِصَصُ الْمُتَقَدِّمِينَ عِبْرَةً لَنَا، وَلَوْ لَا الْقِيَاسُ وَاطْرَادُ فِعْلِهِ وَسُنَّتِهِ لَمْ يَصِحَّ الْاِعْتِبَارُ بِهَا، وَالْاِعْتِبَارُ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا كَانَ حُكْمُ الشَّيْءِ حُكْمَ نَظِيرِهِ كَالْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ فِي الْقُرْآنِ (١).

وقال ابن الأثير: فَإِنَّهُ لَا يَحْدُثُ أَمْرٌ إِلَّا قَدْ تَقَدَّمَ هُوَ أَوْ نَظِيرُهُ (٢)، وقال ابن الجوزي: ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنفال: ٥٢] أي: كعادتهم: والمعنى: كذَّب هؤلاء كما كذَّب أولئك، فنزل بهم العذاب كما نزل بأولئك (٣).

٩- الأُمُرُ بِالْاِتِّعَازِ وَالْاِعْتِبَارِ بِأَحْوَالِ التَّارِيخِ وَالْأُمَمِ السَّابِقَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَدَحَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٣﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلَّتَّاسِ وَهَدَى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿آل عمران: ١٣٧-١٣٨﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وَقَالَ مِقَاتِلُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا

(١) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية (١ / ٥٥).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (١ / ١٠).

(٣) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٢ / ٢١٨).



اللَّهِ إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لَوَلَّيْتُ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ [إبراهيم: ٥] بوقائع الله في الأمم السَّالِفَةِ، يُقَالُ: فَلَانٌ عَالِمٌ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ، أَيُّ بَوَاقِيهِمْ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِمَا كَانَ فِي أَيَّامِ اللَّهِ مِنَ النُّعْمَةِ وَالْمِحْنَةِ (١).

◆ ثانيًا: فوائد معرفة السُّنن:

١- أخذ العِظَةِ والعِبْرَةِ من التاريخ وما وقع للأمم السابقة، وذلك أَنَّ السُّننَ متكرِّرةٌ ومستمرةٌ إلى قيام الساعة، وقد خُتِمَتْ كثيرٌ من قصص القرآن بأخذ العِظَةِ والعِبْرَةِ، والابتعادِ عَمَّا وقعوا فيه من السُّننِ المُهْلِكَةِ.

٢- الأخذُ بالسُّننِ المؤدِّيةِ للفلاحِ والقوَّةِ، وهذه ثمرةٌ من ثمراتِ معرفةِ السُّننِ التي وضعها اللهُ لعباده، بأنَّ يتمسَّكَ بها المسلم، ويأخذُ بها، كالصبرِ والحرصِ على الاجتماعِ ونبتِ التفرُّقِ، ونحوها، ففيها السعادةُ والصلاحُ والقوَّةُ والفوزُ في الدنيا والآخرة.

٣- تجنُّبُ السُّننِ المؤدِّيةِ للخسارِ والهلاكِ، لكي لا يقع المسلم والأمة الإسلامية بما وقع به مَنْ قَبْلَهُمْ من أسبابِ الهلاكِ والدمارِ، والهزيمةِ والخسارِ، كتكذيبِ الرسلِ والظلمِ والطغيانِ والإسرافِ، فكلُّ ما وقع عليهم من ذلك بسببِ وقوعِهِمْ في تلك السُّننِ التي لا تحابي أحدًا ولا تجورُ عليه، والعاقل من وُعِظَ بغيرِهِ.

٤- أن الله سبحانه وَصَّعَ سُننًا وقوانينَ له ﷻ ولمخلوقاته، وأن كل شيءٍ يسيرُ بنظامٍ دقيقٍ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

(١) انظر: معالم التنزيل للبخاري (٣/ ٣٠).



٥- الاستدلالُ بالسُّنَنِ عَلَى ما سيكونُ في المستقبلِ، قال ابن تيمية: وأما الاستدلالُ بسُنَّتِهِ وَعَادَتِهِ، فهو أيضًا طريقٌ برهانيٌّ ظاهرٌ لجميع الخلق وهم متفقون عليه (١).



(١) انظر: النبوات لابن تيمية (٢/٩٥٨).



المبحث الثاني

السُّنَنُ الْمُسْتَنْبَطَةُ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ

وفيه ستُّ مطالب:

المطلب الأول:

السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِاللَّهِ

١- الألوهية الكاملة التامة لله الذي يملك العلم التام الكامل:

وذلك في قول الله على لسان موسى في نصحه لقومه حينما عبدوا العجل:

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨] فالله ﷻ أثبت لنفسه الألوهية؛ حيث ختمت الآية بأنه الذي أحاط بكل شيء علمًا، فليس لأحد أن يدعي الألوهية وليس عنده علم كل شيء، كما دلت الآية على هذه الصفة والسنة الربانية.

٢- القضاء والقدر:

﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ وَأَلَّا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١] كان بنو إسرائيل يتشاءمون بموسى فيما يصيبهم من شر وقحط، فأخبرهم الله أن طائرهم -أي: حظهم الذي قضاه الله تعالى لهم من الخير والشر^(١)- عنده سبحانه أي: بقضائه وتقديره. ﴿قَالَ عِدَائِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْ بِهَا

(١) انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم (ص ١٦٩).



لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿الأعراف: ١٥٦﴾ دَلَّتْ
الآياتُ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ أَنَّهُ: قَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَضَاهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ، فَكُلُّ مَا يُصِيبُ النَّاسَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، إِنَّمَا هُوَ بِقَدَرِ اللَّهِ ﷻ، وَقَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ
عِنْدَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

◆ ٣- الإيفاء بالوعد، وحلول الغضب على من يخلف وعده ﷻ :

﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي
فَارْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠] دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى الْإِيفَاءَ بِالْوَعْدِ.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فِإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا
تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الفصص: ٧]، ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَمَا تَقَرَّرَ
عَيْهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَلِنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الفصص: ١٣]
دَلَّتْ هَاتَانِ الْآيَاتَانِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ وَعَدَ أُمَّ مُوسَىٰ أَنْ يَرُدَّ لَهَا مُوسَىٰ، فَرَدَّهُ لَهَا ﷻ.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّ أَحْسَنًا أَفْطَالَ
عَلَيْكُمْ الْعَهْدَ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ [طه: ٨٦] دَلَّتْ
هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَّتِهِ ﷻ حُلُولُ غَضَبِهِ عَلَى مَنْ يُخْلَفُ وَعَدَهُ.

◆ ٤- الابتلاء والاختبار:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾
[الأعراف: ١٣٠]، ﴿وَمَا نُزِيلُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٤٨] ابْتَلَى اللَّهُ قَوْمَ فِرْعَوْنَ بِالْجَدْبِ وَنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَبِالآيَاتِ
وَالْمُعْجَزَاتِ؛ وَذَلِكَ لِأَجْلِ أَنْ يَتَّعْظُوا وَيَتَذَكَّرُوا.



﴿وَبَلَّوْهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] قال الطبري: يَقُولُ: وَاخْتَبَرْنَاَهُمْ بِالرَّخَاءِ فِي الْعَيْشِ، وَالْخَفْضِ فِي الدُّنْيَا، وَالِدَّعَةِ وَالسَّعَةِ فِي الرِّزْقِ، وَهِيَ الْحَسَنَاتُ الَّتِي ذَكَرَهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ. وَيَعْنِي بِالسَّيِّئَاتِ: الشَّدَّةَ فِي الْعَيْشِ، وَالشُّظْفَ فِيهِ، وَالْمَصَائِبَ وَالرَّزَايَا فِي الْأَمْوَالِ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يَقُولُ: لِيَرْجِعُوا إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَيُنِيبُوا إِلَيْهَا، وَيَتُوبُوا مِنْ مَعَاصِيهِ (١).

﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣] أخبر الله في هذه الآية أنه ابتلى اليهود بتحريم الصيد يوم السبت؛ وجعل الحيتان تأتي في هذا اليوم اختبارًا وامتحانًا لهم، وهذه سنته ﷺ في الناس أجمعين أنه يتليهم ويختبرهم، لِيُمَحِّصَهُمْ وَلِيَعْلَمَ الصَّالِحَ وَالصَّادِقَ مِنْهُمْ، وَلِيَعْلَمَ الْكَافِرَ وَالْمُنَافِقَ، وَالْآيَاتُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى هَذِهِ السَّنَةِ كَثِيرَةٌ، نَكْتَفِي بِالْإِسْتِدْلَالِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الملك: ٢].

٥- عدم نسيان الله ﷻ:

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ ⑤ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿ [طه: ٥١-٥٢] دَلَّتْ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَنْسَى شَيْئًا مَطْلَقًا، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسَجَّلٌ عِنْدَهُ فِي كِتَابٍ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: اللُّوحُ الْمَحْفُوظُ (٢).

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٠/ ٥٣٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٩).



﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبَهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤] نفى الله عن نفسه الغفلة، والمراد بها: الترك على وجه السهو عنه والنسيان له (١).

◆ ٦- خلق الناس من الأرض وإعادتهم فيها وبعثهم يوم القيامة منها:

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥] دلت الآية على أن من سنة الله: خلق الناس من الأرض، وستكون وفاتهم فيها، وبعثهم منها يوم القيامة، وأنه لا يستطيع أحد أن يعيش ويموت في غيرها من الكواكب كالقمر والمريخ.

◆ ٧- إنزال الكتب وإرسال الرسل؛ لإقامة الحجة على الناس ولأجل هداية ورحمة

المؤمنين بدين الله:

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣]، ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَاقُوتَ وَأَمْرًا قَوْمًا يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي سُخْرِيهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]، ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾ [الإسراء: ٢]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٩]، ﴿لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٢/ ١٣٩).



وَرَحْمَةً لَعَالَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿ [الفصص: ٤٣]، جميع هذه الآيات تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ: إِقَامَةُ الْحَجَّةِ عَلَى خَلْقِهِ، وَدَلَّتْ عَلَى سُنَّةٍ أُخْرَى وَهِيَ: أَنَّهُ ﷺ أَرْسَلَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ لِأَجْلِ هِدَايَةِ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَالْإِيمَانِ وَرَحْمَتِهِمْ، وَقَدْ جُمِعَتْ هَاتَانِ السُّنَّتَانِ مَعَ بَعْضِهِمَا؛ لِلْحَثِّ عَلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ؛ لِتَشْرِفَ الْمُؤْمِنُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْهِدَايَةِ وَالْبَصِيرَةِ وَالتَّقْوَى، وَلِأَجْلِ أَنْ تَشْمَلَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ وَمَغْفِرَتُهُ ﷻ.

٨- استحالة رؤية الله في الدنيا:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿ [البقرة: ٥٥]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ وَقَالَ رَبِّ ارْنِنِي أَنْظِرْ لِي لِقَاءَ رَبِّي وَأَنْظِرْ لِي إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الأعراف: ١٤٣]، دَلَّتْ الْآيَاتَانِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ مِنْ سُنَّتِهِ أَلَّا يَرَاهُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ سَيَرُونَ رَبَّهُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

٩- عدم استطاعة أحد أن يضر الله أو يظلمه، ومن يعمل سوءاً فإنما يضر نفسه

ويظلمها:

﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ [البقرة: ٥٧]، قَالَ الطَّبْرِيُّ: وَكَذَلِكَ رَبُّنَا جَلَّ ذِكْرُهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ عَاصٍ، وَلَا يَتَحَيَّفُ خَزَائِنُهُ ظُلْمَ ظَالِمٍ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مُطِيعٍ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِهِ عَدْلٌ عَادِلٍ؛ بَلْ نَفْسَهُ يَظْلِمُ الظَّالِمُ، وَحَظَّهَا يَبْخَسُ العَاصِي، وَإِيَّاهَا يَنْفَعُ الْمُطِيعُ، وَحَظَّهَا يُصِيبُ الْعَادِلُ (١).

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١/٧١٢).



﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]، قال الرازي: مَنَافِعُ الشُّكْرِ وَمَضَارُّ الكُفْرَانِ لَا تَعُودُ إِلَّا إِلَى صَاحِبِ الشُّكْرِ وَصَاحِبِ الكُفْرَانِ، أَمَّا المَعْبُودُ وَالمَشْكُورُ فَإِنَّهُ مُتَعَالٍ عَن أَنْ يَنْتَفِعَ بِالشُّكْرِ أَوْ يَسْتَضِرَّ بِالكُفْرَانِ (١).

﴿وَقُرُونٌ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ﴾ وَقَدَّ جَاءَهُمُ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّمْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿العنكبوت: ٣٩-٤٠﴾، دَلَّ نَصُّ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ: أَنَّهُ لَا يُظْلَمُ أَحَدًا، وَمَا يُصِيبُ الخَلْقَ مِنْ ضَرَرٍ أَوْ مُصِيبَةٍ فَسَبَبِ ظَلَمِهِمْ لِأَنفُسِهِمْ.

◆ ١٠- عدم استطاعة أحد الإفلات من عقاب الله وحسابه:

﴿وَقُرُونٌ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ﴾ وَقَدَّ جَاءَهُمُ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّمْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿العنكبوت: ٣٩-٤٠﴾، بَيْنَ اللَّهِ أَنَّ مِنْ سُنَّتِهِ: أَنَّهُ لَا أَحَدٌ يُفْلِتُ مِنْ حِسَابِ اللَّهِ وَجَزَائِهِ، فَنفَى ﴿٣٩﴾: أَنَّ يَكُونُوا سَابِقِينَ أَي: فَاتَتَيْنِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ (٢).

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٩ / ٦٧).

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٣ / ٥٥٧).



◆ ١١ - سُنَّةُ الْمُدَاوِلَةِ :

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وهذه السنة ظاهرة في قصة موسى وفرعون قومه، فقد كان بنو إسرائيل في ذلٍّ واستضعافٍ، وفرعون وقومه في عزٍّ وقوةٍ، فلما عبر موسى وبنو إسرائيل البحر صاروا في عزٍّ ورفعةٍ، وأذلَّ الله فرعونَ وقومه بالغرقِ والسنينِ والجذبِ، وقد دارت الدائرة من قبل على بني إسرائيل بالذلِّ والفقرِ، وكان قومُ فرعونَ في عزةٍ وقوةٍ وغنىٍ إلى بعثة يوسف عليه السلام.

◆ ١٢ - سُنَّةُ الْإِمْهَالِ وَالِاسْتِدْرَاجِ :

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٨٣-١٨٢]، قال الكفوي: الاستدراج: هو أن يُعطي الله العبدَ كلَّ ما يُريده في الدنيا؛ لِيَزْدَادَ غِيَّهُ وضلاله وجهله وعناؤه فَيَزْدَادَ كُلَّ يَوْمٍ بُعْدًا من الله تَعَالَى^(١). والإمهال هو: التأخير، وقد انطبقت هاتانِ السُّنَّتَانِ على فرعونَ وملئه، فقد استدراج الله فرعونَ حتى تمادى في غيِّه وضلاله، حتى ظنَّ في نفسه بما أعطاه الله من النعمِ والمُلْكِ والقوةِ أنه وصلَ مرحلةَ الألوهيةِ، وظنَّ قومه ألاَّ أحدَ يضاهي قوتهم ومكانتهم، ولا يقدرُ أحدٌ على الإضرارِ بهم، وأمهلهم عليهم السلام حتى مكثوا في ذلك سنواتٍ عديدة، وأزمنةٍ مطيدة، حتى روي أن فرعونَ عمَّرَ: أكثر من أربع مئة سنة^(٢)، ثم أهلكه الله عليه السلام.

(١) انظر: الكليات لأبي البقاء (ص ١١٣).

(٢) حكاة ابن عطية في المحرر الوجيز (٤/٥٥٩) وأبو حيان في البحر المحيط (٩/٢٥٦) عن مالك،

والرازي في مفاتيح الغيب (٢٢/٥٣) والنيسابوري في غرائب القرآن (٤/٥٤٧) عن عمرو بن دينار.

◆ ١٣ - سُنَّةُ الْاِخْتِلَافِ :

مِنْ سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَخْلُوقَاتِهِ أَنْ جَعَلَ بَيْنَهَا اِخْتِلَافًا فِي الصِّفَاتِ وَالْأَحْجَامِ وَالطَّبَاعِ وَالْأَلْوَانِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفَ اللَّسَنَاتِ وَاللَّوْنِ كُورًا﴾ [الروم: ٢٢]، وَهَذَا الْاِخْتِلَافُ وَضَعَهُ اللَّهُ فِي الْبَشَرِ فِي دِيَانَتِهِمْ وَاعْتِقَادَاتِهِمْ وَسُلُوكَاتِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]، وَالْاِخْتِلَافُ مِنْهُ مَا هُوَ مَحْمُودٌ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مَذْمُومٌ^(١)، وَهُوَ الَّذِي وَرَدَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]، قَالَ الطَّبْرِيُّ: وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ وَهُوَ التَّوْرَةُ ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ الْيَهُودَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمْ الَّذِينَ أُوتُوا التَّوْرَةَ، وَالْعِلْمَ بِهَا، وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أُوتُوهُ﴾ عَائِدَةٌ عَلَى الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ حُجُجُ اللَّهِ، وَأَدْلَتُهُ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَفِي أَحْكَامِهِ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَنَّ الْحَقَّ الَّذِي لَا يَسْعَهُمُ الْاِخْتِلَافُ فِيهِ، وَلَا الْعَمَلُ بِخِلَافِ مَا فِيهِ^(٢).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْتَلَفَ فِيهِ﴾ [هود: ١١٠]، قَالَ الطَّبْرِيُّ: فَإِنَّ الَّذِي

(١) الْاِخْتِلَافُ الْمَحْمُودُ هُوَ: الْاِخْتِلَافُ الَّذِي يَكُونُ فِي فُرُوعِ الدِّينِ الَّتِي يَسُوعُ فِيهَا الْاجْتِهَادُ، وَمَا كَانَ مَبْنِيًّا عَلَى قَوَاعِدِ وَأَصُولٍ مَنْضَبِطَةٍ لَا تُخَالَفُ مَقَاصِدَ الشَّرِيعَةِ وَلَا تُعَارِضُهَا، وَمَا كَانَ الْقَصْدُ فِيهِ: اتِّبَاعَ الْحَقِّ وَالْوَصُولَ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ. وَالْاِخْتِلَافُ الْمَذْمُومُ هُوَ: الْاِخْتِلَافُ الَّذِي يَكُونُ فِي الْعُقَائِدِ وَأَصُولِ الْأَحْكَامِ الثَّابِتَةِ، وَمَا كَانَ فِيهِ مَعَارِضَةٌ لِمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَمَا كَانَ الْقَصْدُ فِيهِ: اتِّبَاعَ الْهَوَىِّ وَالْبَغْيِ. انظُر: الْإِبَانَةُ الْكُبْرَى لِابْنِ بَطَّةٍ (٢/ ٥٥٧)، مِنْهَاجِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ (٥/ ٢٥٧)، الْجَوَابُ الصَّحِيحُ لِمَنْ بَدَلَ دِينَ الْمَسِيحِ لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ (١/ ١٥٥).

(٢) انظُر: جَامِعُ الْبَيَانِ لِلطَّبْرِيِّ (٣/ ٦٢٧).



يَفْعَلُ بِكَ هُوَ لَاءٍ مِنْ رَدِّ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ عَلَيْكَ مِنَ النَّصِيحَةِ مِنْ فِعْلِ ضَرْبَائِهِمْ مِنَ الْأَمَمِ قَبْلَهُمْ وَسُنَّةٍ مِنْ سُنَنِهِمْ.. فَاخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ قَوْمُ مُوسَى، فَكَذَّبَ بِهِ بَعْضُهُمْ، وَصَدَّقَ بِهِ بَعْضُهُمْ، كَمَا قَدْ فَعَلَ قَوْمُكَ بِالْفُرْقَانِ مِنْ تَصْدِيقِ بَعْضٍ بِهِ وَتَكْذِيبِ بَعْضٍ^(١)، وقال الرازي: لَمَّا أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ﷺ اخْتَلَفُوا فِيهِ فَقَبِلَهُ بَعْضُهُمْ وَأَنْكَرَهُ آخَرُونَ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَادَةَ الْخَلْقِ هَكَذَا^(٢).

وهذه السنة أغلبية، وليست مُطَرَّدَةً عَلَى جَمِيعِ الْمَكَلِّفِينَ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾^(١٨) إِلَّا مَنْ رَجَحَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿[هود: ١١٨-١١٩]، فاستثنى من الآية: مَنْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ مِمَّنْ هَدَاهُمْ وَعَصَمَهُمْ مِنَ الْاِخْتِلَافِ.



المطلب الثاني:

السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْإِيمَانِ

١٤- الصبر سببٌ للأيضاء بالوعد والتمكين في الأرض:

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، قال الزمخشري: ومعنى تَمَّتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ: مَضَتْ عَلَيْهِمْ وَاسْتَمَرَّتْ، مِنْ قَوْلِكَ: تَمَّ عَلَيَّ الْأَمْرُ إِذَا مَضَى عَلَيْهِ،

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٢/ ٥٩٢).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٨/ ٤٠٥).



﴿يَمَاصِرُوا﴾ بسبب صبرهم، وحسبك به حاثاً على الصبر، ودالاً على أن من قابل البلاء بالجزع وكله الله إليه، ومن قابله بالصبر وانتظار التصبر ضمن الله له الفرج (١). وقال القرطبي: ﴿يَمَاصِرُوا﴾ أي: بصبرهم على أذى فرعون، وعلى أمر الله بعد أن آمنوا بموسى (٢).

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، دلت هذه الآية على أن الصبر من أسباب التمكين وحسن العاقبة.

◆ ١٥ - الأمان لأولياء الله:

﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّعِنَ﴾ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٥-٤٦]، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ (١٣) وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (١٤) قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَعِينُونَ﴾ (١٥) [الشعراء: ١٢-١٥]، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (١٦) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (١٧) قَالَ سَنُنَصِّرُكَ بِأَخِيكَ وَجَعَلْنَا لَكُمْ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ أَغْلِبُونَ﴾ (١٨) [القصص: ٣٣-٣٥] حينما أمر الله موسى وهارون أن يدعوا فرعون، وخافا من دعوته إلى التوحيد بأن يفراط فرعون أي: يتقدمهم ويسبقهم ويستعجل في الانتقام منهم (٣)، طمأنهم ونهاهم عن الخوف؛ لأنهم من أنبيائه وأوليائه.

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ١٤٩).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٢٧٢).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (١٦/ ٧٦)، المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص ٦٣١).



﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا لَاتَخَفَ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿طه: ٦٦-٦٨﴾، ﴿وَأَنْ أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٣١﴾﴾ [القصص: ٣١]، ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النمل: ١٠-١١]، في هذه الآيات نهي الله موسى عن الخوف في التحدي الذي كان بينه وبين السحرة، وبين له ﴿أن من سنته أنه: لا يخاف لديه المرسلون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعَبَادِي فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٧٧﴾﴾ [طه: ٧٧]، طمأن الله موسى في هذه الآية بأنه لن يُدركه فرعون ولن يغرق في البحر؛ لأنه من عباده وأوليائه الصالحين.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص: ٧]، أخبر الله أم موسى بالآلا تخاف ولا تحزن، إذا وضعت ولدها في اليم؛ لأن الأمان من الله لأوليائه الصالحين من سنته سبحانه.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص: ٢٥]، في هذه الآية كما جاء موسى إلى والد المرأتين وقيل إنه: شعيب^(١)، قال لموسى: لا تخف؛ لأن الله لن يُسلط عليه فرعون؛ حيث إنه في أرض ليس لفرعون عليها سُلطة.

(١) انظر: تفسير مقاتل (٣/٣٤٢)، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٨/٥٥١٨)، النكت والعيون للماوردّي (٤/٢٤٧).



﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢]، بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ مِنْ سُنَّتِهِ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَقَرَأُوا مَعَ إِيْمَانِهِمُ: الْعَمَلَ الصَّالِحَ، أَنَّ لَهُمُ الْإِيمَانَ، وَنَفَى عَنْهُمْ الْحُزْنَ وَهُوَ: غَلْظُ الْهَمِّ لِفُوتِ الْمَرْغُوبِ فِي الْمَاضِي وَالْحَالِ، مَا خُوِذَ مِنْ: الْحُزْنِ وَهُوَ مَا غَلِظَ مِنَ الْأَرْضِ، وَضِدَّهُ السُّرُورُ (١).

◆ ١٦ - مَعِيَّةُ اللَّهِ وَحِفْظُهُ وَرِعَايَتُهُ وَهَدَايَتُهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ:

﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾ [الشعراء: ٦٠-٦٢]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَإِسْنَادُ الْمَعِيَّةِ إِلَى الرَّبِّ فِي: (إِنَّ مَعِيَ رَبِّي) عَلَى مَعْنَى مُصَاحِبَةِ لُطْفِ اللَّهِ بِهِ وَعِنَايَتِهِ بِتَقْدِيرِ أَسْبَابِ نَجَاتِهِ مِنْ عَدُوِّهِ. وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى وَآثِقُ بَانَ اللَّهُ مُنْجِيهِ (٢). وَقَالَ الشَّنَقِيطِيُّ: وَهَذِهِ الْمَعِيَّةُ خَاصَّةٌ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهِيَ بِالْإِعَانَةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّوْفِيقِ (٣).

◆ ١٧ - مَنْ يَتَذَكَّرُ وَيَتَعَطَّ بِآيَاتِ اللَّهِ هُمْ: أَوْلُو النَّهْيِ:

﴿ كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهْيِ ﴾ [طه: ٥٤]، دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ: أَنَّ مَنْ يَتَعَطَّ وَيَتَذَكَّرُ وَيَسْتَفِيدُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ هُمْ أَوْلُو النَّهْيِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَأَوْلُو النَّهْيِ يَشْمَلُ: أَوْلُو الْحَجِّ وَالْعُقُولِ وَالتَّقْوَى وَالْوَرَعَ (٤)، قَالَ الْأَلُوسِيُّ: وَتَخْصِيصُ كَوْنِهَا آيَاتٍ بِهِمْ؛ لِأَنَّ أَوْجُهَ دَلَالَتِهَا عَلَى شُؤْنِهِ تَعَالَى، لَا

(١) انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم (ص ٧٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩ / ١٣٥).

(٣) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٣ / ٤٦٥).

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (١٦ / ٢٠٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٤٢٦).



يعلمها إلا العقلاء، ولذا جعل نفعها عائداً إليهم في الحقيقة^(١)، قال ابن عاشور:
وَفِي هَذَا تَعْرِیْضٌ بِالَّذِينَ لَمْ يَهْتَدُوا بِتِلْكَ الْآيَاتِ، بِأَنَّهُمْ عَدِيمُو الْعُقُولِ^(٢).

◆ ١٨ - الإيمان من أسباب دفع البلاء والعذاب:

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا لِمُوسَى اذْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِإِن كَشَفْتَ عَنَّا
الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ
هُم بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأعراف: ١٣٤-١٣٥]، لما وقع العذاب على قوم فرعون
قالوا لموسى: إن دعوت الله بكشف العذاب، لنؤمنن لك أي: لنصدقن بما جئت
به ودعوت إليه ولنقرنن به لك^(٣)، فأوفى لهم الله بسبب ما وعده من الإيمان
والتصديق، فكشف عنهم العذاب، وفي هذا دلالة على سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى: أَنَّ الْإِيمَانَ
مِنْ أَسْبَابِ رَفْعِ الْعَذَابِ وَالْبَلَاءِ.

◆ ١٩ - اصطفاؤه الله للمؤمنين واختيارهم على غيرهم:

﴿يَبْنَئِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾،
﴿قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف: ١٤٠]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾،
﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الدخان: ٣٢]، جميع هذه الآيات تدلُّ على سُنَّةِ
اصطفاء الله تعالى وتفضيله لعباده المؤمنين به المصدقين بشريعته، حيث دلَّت
الآيات على تفضيل بني إسرائيل على عالمي زمانهم، ودلَّت على اختيارهم على

(١) انظر: رُوح المعاني لِلألوسي (٨ / ٥٢٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦ / ٣٣٥).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (١٠ / ٤٠٢).



مَنْ سَوَاهُمْ فِي زَمَانِهِمْ؛ وَذَلِكَ بِمَا أُوتُوا مِنَ الْكِتَابِ وَالْحُكْمِ وَالنَّبُوءَةِ وَالْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ، وَهَذِهِ السُّنَّةُ جَارِيَةٌ عَلَيَّ مِنْ أَتَّبَعَ هِدَاةً وَتَمَسَّكَ بِدِينِهِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

◆ ٢٠- الإِيمَانُ وَالتَّقْوَى سَبَبٌ لِرَحْمَةِ اللَّهِ ﷻ :

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَاقِبَتِهَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ذَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَيَّ أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى: أَنَّهُ ﷻ، يَكْتُبُ رَحْمَتَهُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ ﷻ.

◆ ٢١- الخَشْيَةُ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الْهَدَايَةِ وَالْإِعْتِبَارِ وَالْإِعْتَظَافِ :

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [٤١] فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٤٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [النَّازِعَاتِ: ٢٤-٢٦]، ذَلَّتْ الْآيَةُ عَلَيَّ أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْخَشْيَةِ أَنَّهَا: سَبَبٌ لِلْإِعْتِبَارِ وَالْهَدَايَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ يَتَعَطَّفُ بِمَا حَلَّ بِفِرْعَوْنَ وَأَمْثَالِهِ، هُمْ أَهْلُ الْخَشْيَةِ وَالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، وَهَذِهِ سُنَّةٌ جَارِيَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [فَاطِر: ١٨].





المَطَبُ الثَّالِثُ: السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالذَّعْوَةِ

◆ ٢٢- إقامة الحجَّة:

﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَآتِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٦﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٤٢-٤٣]،
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الأعراف: ١٠٣]،
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزخرف: ٤٦]،
ذَلَّتْ الْآيَاتُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ، وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ: إِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَى الْبَشَرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِكَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: قَوْلُهُ ﷺ: «وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُدْرُ مِنَ اللَّهِ، وَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنذِرِينَ»^(١)، وَأُمَّةُ الْإِسْلَامِ مُكَلَّفَةٌ بِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى النَّاسِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْسَلَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَدِينُهُ نَاسِخٌ لِجَمِيعِ الْأَدْيَانِ السَّابِقَةِ، وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي لَا يَرْضَى اللَّهُ سِوَاهُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

◆ ٢٣- تأييد الأنبياء بالمعجزات:

فَقَدْ أَيَّدَ اللَّهُ مُوسَى بِتِسْعِ مُعْجَزَاتٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوِّهِ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [النمل: ١٢]، وَمِمَّا يَدُلُّ

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ: التَّوْحِيدِ، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا شَخْصَ أَعْبُرُ مِنَ اللَّهِ»، (رقم ٧٤١٦)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ: التَّوْبَةِ، بَابُ: غَيْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ، (رقم ٢٧٦٠).



على أن التأييد بالمُعجزات سنة ربانية في جميع الأنبياء: قوله ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ»^(١).

◆ ٢٤- اللين في الدعوة أذعى للتذكير والخشية:

﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٣٦﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣-٤٤]، قال الماتريدي: وكان اللين في القول أنفذ في القلوب، وأسرع إلى الإجابة، وأدعى إلى الطاعة من الخشن من القول، وذلك ظاهر في الناس^(٢). وقال الرازي: إن الدعوة مع الرفق أكثر تأثيراً في القلب، أما التعليل فإنه يوجب التغير والبعد عن القبول، ولهذا المعنى قال تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]^(٣).

وهذه سنة من سنن الله تعالى: أن اللين أذعى للقبول وأقرب إلى القلوب، وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْرَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٤)، وهذه السنة أغلبية، فقد تكون الشدة والقوة أذعى للهداية والتذكير، كما في الجهاد في سبيل الله، وإقامة الحدود، نحوهما.

◆ ٢٥- اتباع الأنبياء ونصرتهم من أسباب الفلاح والهداية:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ: الْأَعْتَصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:

بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، (رقم ٧٢٧٤) وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ: الْإِيمَانِ، بَابُ: وَجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَىٰ جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسَخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، (رقم ٢٣٩).

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢/ ٥١٥).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٦/ ٦٦).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ: الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ: فَضْلِ الرَّفْقِ، (رقم ٢٥٩٤).



وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿[الأعراف: ١٥٧-١٥٨]﴾، دَلَّتِ الْآيَاتَانِ عَلَى أَنَّ مَنْ أَرَادَ الْفَلَاحَ وَالْهُدَايَةَ، فَعَلِيهِ بِاتِّبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، وَهَذِهِ سَنَةٌ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ: أَنْ اتَّبَعَ الرَّسُولَ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ لِلدَّعْوَةِ وَالتَّبْلِيغِ؛ مِنْ أَسْبَابِ الْإِهْتِدَاءِ وَالْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

◆ ٢٦ - العلمُ وِبِالِ عَلَى صَاحِبِهِ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِهِ :

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]، قال الواحدي: وهذا المثلُ يَلْحَقُ مَنْ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ ^(١). وقال الزمخشري: وَكُلُّ مَنْ عَلِمَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ فَهَذَا مِثْلُهُ ^(٢). وقال القرطبي: وَفِي هَذَا تَنْبِيهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ حَمَلَ الْكِتَابَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَعَانِيَهُ وَيَعْلَمَ مَا فِيهِ، لِئَلَّا يَلْحَقَهُ مِنَ الذَّمِّ مَا لَحِقَ هَؤُلَاءِ ^(٣).

◆ ٢٧ - سنة التَّدَافُعِ :

وهذه السنة ظاهرة في قصة موسى وبني إسرائيل مع فرعون، حيثُ أَمَرَ موسى بدعوة فرعون ومُدافعتِهِ ومُدافعةِ باطلِهِ وإشراكِهِ بِاللَّهِ، فَحَارَبَ مُوسَى وَطَارَدَهُ، ثُمَّ

(١) انظر: التفسير الوسيط للواحدى (٤ / ٢٩٥).

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (٤ / ٥٣٠).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨ / ٩٤).



أَخْرَجَهُ مِنْ مِصْرَ، كَعَادَةِ أَغْلَبِ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ أَقْوَامِهِمْ فِي إِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها: حِينَمَا ذَهَبَتْ خَدِيجَةُ رضي الله عنها بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ فَقَالَ لَهُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى صلى الله عليه وسلم، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟» قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي ^(١).

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، قال رشيد رضا: أي: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْفَعُ أَهْلَ الْبَاطِلِ بِأَهْلِ الْحَقِّ، وَأَهْلَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ بِأَهْلِ الْإِصْلَاحِ فِيهَا لَغَلَبَ أَهْلُ الْبَاطِلِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَبَعَوْا عَلَى الصَّالِحِينَ وَأَوْفَعُوا بِهِمْ حَتَّى يَكُونَ لَهُمُ السُّلْطَانُ وَحَدَهُمْ، فَتَفْسُدِ الْأَرْضُ بِفَسَادِهِمْ، فَكَانَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ وَإِحْسَانِهِ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ أَنْ أَذِنَ لِأَهْلِ دِينِهِ الْحَقِّ الْمُصْلِحِينَ فِي الْأَرْضِ بِقِتَالِ الْمُفْسِدِينَ فِيهَا مِنَ الْكَافِرِينَ وَالْبَغَاةِ الْمُعْتَدِينَ، فَأَهْلُ الْحَقِّ حَرَبٌ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَاللَّهُ نَاصِرُهُمْ مَا نَصَرُوا الْحَقَّ وَأَرَادُوا الْإِصْلَاحَ فِي الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّى هَذَا دَفْعًا عَلَى قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، إِذْ كَانَ سُنَّةً مِنْ سُنَنِهِ فِي الْاجْتِمَاعِ الْبَشَرِيِّ، وَسَمَّاهُ دِفَاعًا فِي قِرَاءَةِ نَافِعٍ بِاعْتِبَارِ أَنَّ كَلًّا مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ الْمُصْلِحِينَ وَأَهْلِ الْبَاطِلِ الْمُفْسِدِينَ يُقَاوِمُ الْآخَرَ وَيُقَاتِلُهُ ^(٢).



(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ الْجُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: بَابُ: بَدَأَ الْوَحْيِ، كَيْفَ كَانَ بَدَأَ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم،

(رقم ٣) وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ: الْإِيمَانِ، بَابُ: بَدَأَ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، (رقم ٢٥٢).

(٢) انظر: تفسير المنار لمحمد رشيد (٢/ ٣٨٩).



المَطْلَبُ الرَّابِعُ:

السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ

◆ ٢٨- النَّصْرَةُ وَالتَّجَاةُ لِعِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ:

﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ مِنْ الْأَرْضِ فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ وَجَمِيعًا﴾ [١٣] وَقُلْنَا مَنْ بَعْدَهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿ [الإسراء: ١٠٣-١٠٤]، ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ وَأَجْمَعِينَ﴾ [٦٥] ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ﴿ [٦٦] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ [٦٧] وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ [الشعراء: ٦٥-٦٨]، دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ: نَصْرَ أَوْلِيَائِهِ وَإِنجَاءَهُمْ، وَإِنْ لَمْ يُنْجِ بِعِضِ أَوْلِيَائِهِ مِنَ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ لَا مُحَالَةَ وَعَدَ بِأَنْ سَيُنْجِيهِمْ مِنَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ وَصَحَابَتَهُ الْكِرَامَ فِي جِهَادِهِمْ وَغَزْوَاتِهِمْ إِلَّا مَا عَرَضَ فِيهِ عَارِضٌ، مِنْ مَخَالَفَةِ دِينِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ، كَمَا حَصَلَ فِي الْهَزِيمَةِ فِي غَزْوَةِ أَحَدٍ بِسَبَبِ مَخَالَفَةِ الرُّمَاءِ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهَذِهِ سُنَّتُهُ ﷺ فِي نَصْرِ عِبَادِهِ مَا لَمْ يُخَالِفُوا دِينَهُ وَشَرِيعَتَهُ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

◆ ٢٩- التَّمْكِينُ فِي الْأَرْضِ لِلْمُؤْمِنِينَ:

وَيَكُونُ بَعْدَهُ أَسْبَابٌ: أَوْلَاهَا: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرُبِّدْنَا أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [٥] وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُورَى فِرْعَوْنَ وَهَلْمَنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿ [القصص: ٥-٦]، دَلَّتْ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى: أَنَّ اللَّهَ يُمَكِّنُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْأَرْضِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: نُمَلِّكُهُمْ مَا كَانَ يَمْلِكُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ (١)، وَيَجْعَلُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أُمَّةً، أَي: وَلَاةً

(١) انظر: التفسير الوسيط للواحدى (٣/ ٣٩٠).



وَحُكَّامًا عَلَى النَّاسِ، وَيَجْعَلُهُم يَرِثُونَ الْأَرْضَ، أَي: يُوَطَّنُ لَهُمُ الْأَرْضُ وَيَجْعَلُهُم يَعِيشُونَ فِيهَا بِأَمْنٍ وَاسْتِقْرَارٍ.

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْوُنٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَاوِرٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٩]، ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَبَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنْ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الصافات: ١١٤-١١٦]، ﴿كَذَلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الدخان: ٢٨]، مجموع هذه الآيات تدلُّ على أَنَّ اللهَ مَنْ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالتَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَرَثَهُمْ مُلْكُ مِصْرَ وَمَا فِيهَا مِنَ الْكُنُوزِ وَالْجَنَّاتِ وَالْعَيْوُنِ وَالْأَرْزَاقِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ التَّمَكِينِ: الاستعانة بالله والصبر والتقوى، وقد جاءت جميعها في قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا ۗ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨]، حيث إنَّ اللهَ أَمَرَ بِالاستعانة به والصبر على سبيله، وأخبر أنه من سنته ﷺ: أَنَّهُ يُورِثُ الْأَرْضَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مِمَّنْ امْتَثَلَ شِرْعَهُ وَأَتَمَّرَ بِأَمْرِهِ، وَخَتَمَ الْآيَةَ بِوَعْدِهِ بِأَنَّ الْعَاقِبَةَ لِمَنْ اتَّقَاهُ ﷻ.

◆ ٣٠- خَيْرٌ مَنْ يُسْتَأْجَرُ وَيُوْتَى: الْقَوِيُّ الْأَمِينُ:

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦]، قال السمرقندي: يعني: خَيْرُ الْأَجْرَاءِ مَنْ يَكُونُ قَوِيًّا فِي الْعَمَلِ، أَمِينًا عَلَى الْمَالِ وَالْعَوْرَةِ (١). وقال الزمخشري: وقولها: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ كَلَامٌ حَكِيمٌ جَامِعٌ لَا يُزَادُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَتْ هَاتَانِ الْخَصْلَتَانِ، أَعْنِي الْكِفَايَةَ وَالْأَمَانَةَ

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٦٠٥).



في القائم بأمرِك، فقد فرغَ بالِك وتَمَّ مُرادُك^(١). وقال السعدي: وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كُلِّ مَنْ يتولَّى للإنسانِ عملاً بإجارةٍ أو غيرها^(٢). فلذا دَلَّتْ الآيَةُ عَلَيَّ أَنَّ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ: أَنْ خَيْرَ الْأَجْرَاءِ وَالْعُمَّالِ وَالْأَمْرَاءِ مَنْ يَجْمَعُ بَيْنَ صِفَتَيْ: الْقُوَّةِ وَالْأَمَانَةِ، وَهَذِهِ مِنْ سُنَنِهِ ﷺ، مَنْ أَخَذَ بِهَا: تَحَقَّقَ لَهُ النَّصْرُ وَالْمَقْصُودُ وَالظَّفَرُ بِالْمَطْلُوبِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

◆ ٣١- الاجتماع قوة، والتفرق ضعف:

دل على هذه السُّنَّةِ آيتان في قصة موسى، الأولى: قول الله تعالى على لسانِ فرعون: ﴿فَأَجْمَعُوا يَدَكُمْ يُرَآئِبُوا صِفًا وَقَدْ أَلْحَ الْأَيُّومَ مِنْ أَسْتَعْلَى﴾ [طه: ٦٤]، وما قال هذا القول، إلا لمعرفة بقاء قوة الاتحاد والاجتماع في مواجهة الخصم، كما دلَّ على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والآية الثانية: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحِيهِمْ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]، في هذه الآية حرص فرعون وقومه على إضعاف بني إسرائيل بعدة أساليب وطرق، ومنها: أنه جعل أهلها شيعاً أي: فرقا وأحزاباً^(٣)، وما ذلك إلا لأنهم يعلمون أن تفرقهم وتشتتهم: ضعفاً ووهناً، وهذه سنة من سنن الله التي وضعها في البشر: بقوة الجماعة وضعف الناس المتفرقين المتحزبين، وهذه السُّنَّةُ أَعْلِيَّةٌ، حَيْثُ إِنَّ

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠٣).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص ٦١٤).

(٣) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٦٤).



الغالبَ فيمن اجتمعوا على أمرٍ، يكونونَ قوَّةً، وقد يكونُ على قوَّةٍ مَنْ كانَ على الحقِّ ولو كانَ لِوَحْدِهِ، كما رُوِيَ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: **إِنْ جُمُهِورَ الْجَمَاعَةِ هِيَ الَّتِي تَفَارِقُ الْجَمَاعَةَ، إِنَّمَا الْجَمَاعَةُ مَا وَاَفَقَ طَاعَةَ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ (١)**. وهذه سُنَّةٌ أَعْلِيَّةٌ كما ذكرنا.



المَطَبُ الخَامِسُ: السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْكَفْرِ وَالتَّكْذِيبِ

◆ ٣٢- سنة الاستبدال:

مِنْ سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى: أَنَّ اللَّهَ يَسْتَبْدِلُ مَنْ يُعْرَضُ عَنْ دِينِهِ وَشَرَعِهِ بِغَيْرِهِمْ، وجاءت هذه السنة في قصة بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٨]، قال الشوكاني: **وَالْمُرَادُ بِالْقَوْمِ الْآخَرِينَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مَلَكَهُمْ أَرْضَ مِصْرَ بَعْدَ أَنْ كَانُوا فِيهَا مُسْتَعْبِدِينَ، فَصَارُوا لَهَا وَارِثِينَ: أَيَّ أَنْهَا وَصَلَتْ إِلَيْهِمْ كَمَا يَصِلُ الْمِيرَاثُ إِلَى الْوَارِثِ (٢)**. وقد استبدل الله الجيل الذين امتنعوا من دخول بيت المقدس؛ وذلك أنهم تعوّدوا على الذل والهوان والعبودية، حيث عبدوا العجل لما ذهب موسى لميقات ربه، فعوقبوا بالتّيه أربعين سنة وفيها ذهب هذا الجيل، واستبدلهم الله بجيل آخر فتح الله لهم بيت المقدس بقيادة يوشع بن نون، قال محمد رشيد: **وَقَدِ ابْتَلَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى وَرَبَّاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ**

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للشوكاني (١/ ١٢٢).

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ٦٥٨).



وَالسَّيِّئَاتِ، وَحَرَّمَ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ، حَتَّىٰ انْقَرَضَ ذَلِكَ الْجِيلُ الَّذِي نَسَأَ فِي حِجْرِ الْوَتْنِيَّةِ، وَشَبَّ أَوْ اكْتَهَلَ أَوْ شَاخَ، فِي ذُلِّ الْعُبُودِيَّةِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ^(١). ويدلُّ لهد السُّنَّةِ صريحُ قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَتَوَلَّوْا لِيَسْتَبْدِلَ فَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

◆ ٣٣- عدم فلاح السَّاحِرِ:

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى﴾ [طه: ٦٩]، قال القرطبي: أَي لَا يَفُوزُ وَلَا يَنْجُو حَيْثُ أَتَى مِنَ الْأَرْضِ. وَقِيلَ: حَيْثُ احْتَالَ^(٢).

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتَلَوُا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ^ط وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَا كَنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِسَابِلٍ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ^ط فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ^ط وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ^ط وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ^ط وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ^ط وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ^ط أَنفُسَهُمْ^ط لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، دَلَّتْ هَاتَانِ الْآيَاتَانِ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ: أَنَّ السَّاحِرَ لَا يُفْلِحُ مُطْلَقًا وَإِنْ حَصَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَقْصُودِهِ، فَإِنَّهُ إِلَىٰ افْتِضَاحٍ وَخِذَاعٍ، وَتَبَابٍ وَخُسْرَانٍ، وَعِقَابٍ وَعَذَابٍ، وَقَدْ ذَكَرَ الْمَفْسُورُونَ أَنَّ (ال) فِي السَّاحِرِ لِلْجِنْسِ^(٣) أَي: جِنْسِ السَّحَرَةِ، فَيَشْمَلُ جَمِيعَ السَّحَرَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ.

(١) انظر: تفسير المنار لمحمد رشيد (٩ / ٩٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١ / ٢٢٤).

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري (٣ / ٧٥)، مفاتيح الغيب للزرازي (٢٢ / ٧٥).



◆ ٣٤ - عَدْمُ فَلَاحِ الظَّالِمِينَ :

﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبِّئِ اعْلَمْ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ وَعَقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [القصص: ٣٧]، ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ اتَّخَذْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَیْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، ذَلَّتْ هَاتَانِ الْآيَاتَانِ عَلَيَّ أَنْ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى: أَنْ الظَّالِمَ وَهُوَ: الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَيَجُورُ وَيُجَاوِزُ حُدَّهُ، أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ وَلَا يَنْجِحُ وَلَا يَفُوزُ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ، وَأَنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُهُ وَيَقْتَصُّ مِنْهُ، فِي كُلِّ مَظَالِمَةٍ الَّتِي ارْتَكَبَهَا.

◆ ٣٥ - كَيْدُ وَمَكْرُ الْكَافِرِينَ إِلَى خَسْرَانٍ وَبُطْلَانٍ :

﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءِ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [غافر: ٣٧]، قَالَ الطَّبْرِيُّ: وَمَا احْتِيَالُ الَّذِي فِرْعَوْنَ الَّذِي يَحْتَالُ لِلإِطْلَاقِ إِلَى إِلِهِ مُوسَى، إِلَّا فِي خَسَارٍ وَذِهَابِ مَالٍ وَغَبْنٍ، لِأَنَّهُ ذَهَبَتْ نَفَقَتُهُ الَّتِي أَنْفَقَهَا عَلَى الصَّرْحِ بَاطِلًا، وَلَمْ يَنْلُ بِمَا أَنْفَقَ شَيْئًا مِمَّا أَرَادَهُ، فَذَلِكَ هُوَ الْخَسَارُ وَالتَّبَابُ (١).

﴿ وَأَصْلُ فِرْعَوْنَ قَوْمُهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ [طه: ٧٩]، وَقَالَ تَعَالَى فِي دِفَاعِ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ عَنِ مُوسَى: ﴿ فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُورًا وَحَاقَ بِقَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥]، قَالَ الْوَاحِدِيُّ: ﴿ فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُورًا ﴾ مَا أَرَادُوا بِهِ مِنَ الشَّرِّ، وَحَاقَ: أَحَاطَ، وَنَزَلَ بِهِمْ، سُوءُ الْعَذَابِ، قَالَ الْكَلْبِيُّ: غَرَقُوا فِي الْبَحْرِ، وَدَخَلُوا النَّارَ (٢).

وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ دَلَالَةٌ عَلَيَّ أَنَّ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ: أَنَّ كَيْدَ الْكَافِرِ وَمَكْرَهُمْ يَرْجِعُ عَلَيْهِمْ بِالْخَسْرَانِ وَالْهَلَاكِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٢٠ / ٣٢٨).

(٢) انظر: التفسير الوسيط للواحدى (٤ / ١٥).



وَمَكَرُوا لِيَكْهُيَبُوا ﴿فاطر: ١٠﴾، كما أن من سنن الله: أن المكر السيئ الباطل يرجع وبالهُ وخزيهُ على صاحبه، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمَّا كُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

◆ ٣٦- الظلم والعلو والاستكبار من أعظم أسباب الجحود والكفر بالله ﷻ :

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]، قال الزجاج: وجحدوا بها ظلماً وعلوًّا، أي: ترفعًا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى ﷺ، فجحَدوا بها وهم يعلمون أنها من عند الله (١). دَلَّتْ هذه الآية على أن قوم فرعون جحدوا الآيات مع استيقانهم بصحتها، وذلك بسبب ظلمهم وعلوهم وتكبرهم الذي منعهم من الاستسلام لله ولرسوله، وفيها دلالة على أن من سنن الله: أن الظلم والتكبر من أعظم أسباب الكفر والجحود والمعصية، كما دَلَّتْ على هذه السنّة الآيات التي وردت في قصة إبليس واستكباره على آدم وامتناعه من السجود والاستجابة لله ﷻ، وصریح دلالة قوله تعالى: ﴿وَقَرُونِ وَفَرَعُونَ وَهَمَلُنَّ وَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٩].

◆ ٣٧- الكفر سبب للفهم الخاطئ والسيئ لشريعة الله ﷻ :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَايَأُ مُرْكُم يَدِي إِيْمَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣]، قال السمين الحلبي: فيه وجهان، أظهرهما: أنها للسيئة متعلّقة بـ: ﴿أُشْرِبُوا﴾ أي: أُشربوا بسبب كفرهم السابق (٢).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ١١١).

(٢) انظر: الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٦).



وفي هذا دلالة على أن من سنة الله: أن الكفر من أسباب الضلال والعمى عن الهداية والفهم لكتاب الله وشريعته، كما أن عموم المعاصي تضعف البصيرة والعلم بالله وبدينه وشريعته كما دل على هذه السنة قوله ﷺ: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ، مُجَحِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ» (١).

◆ ٣٨- الطغيان من أسباب غضب الله، وغضب الله من أسباب الهلاك:

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدَّ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]، قال البيضاوي: وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فِيَمَا رَزَقْنَاكُمْ بِالْإِحْلَالِ بِشُكْرِهِ وَالتَّعَدِّي لِمَا حَدَّ اللَّهُ لَكُمْ فِيهِ كَالسَّرْفِ وَالبَطْرِ وَالمَنْعِ عَنِ الْمَسْتَحَقِّ، فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي: فَيَلْزَمُكُمْ عَذَابِي وَيَجِبُ لَكُمْ، مِنْ: حَلِّ الدَّيْنِ؛ إِذَا وَجِبَ أَدَاؤُهُ، وَمَنْ يَحِلُّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدَّ هَوَىٰ، فَقَدْ: تَرَدَّى وَهَلَكَ، وَقِيلَ: وَقَعَ فِي الْهَوَايَةِ (٢). وَهَذَا فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِيْمَنْ طَغَىٰ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ، وَمَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ هَلَكَ وَتَرَدَّى.

◆ ٣٩- الشرك بالله من أسباب الهلاك والخسران وبطلان الأعمال:

﴿وَجُورًا نَابِيَّ إِسْرَاءَ بِلِ الْبَحْرِ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَانِ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وأنه يارز

بين المسجدين، (رقم ١٤٤).

(٢) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (٤/ ٣٥).



أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَطَلُوا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿الأعراف: ١٣٨-١٣٩﴾، دَلَّتْ الآيَةُ عَلَى أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَأَشْرَكَ، - كما حصل لبني إسرائيل من عبادة العجل - أَنَّهُ فِي خَسَارٍ وَهَلَاكِ، وَأَنَّ الشَّرْكَ بِاللَّهِ يُبْطِلُ وَيَحْبِطُ الأَعْمَالَ، كما دَلَّ عَلَى هَذِهِ السُّنَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّتُوشًا ﴿الفرقان: ٢٣﴾، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿المائدة: ٥﴾.

٤٠- الإذلال والتسليط من أسباب الكفر والتكذيب:

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿البقرة: ٦١﴾، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَعُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿الأعراف: ١١٧-١١٩﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ ﴿الأعراف: ١٥٢﴾، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿الأعراف: ١٦٧﴾، ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَتَّخِرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَاءَ ابْتِئَامًا فَفَصَّلَتِ فَاَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿الأعراف: ١٣٢-١٣٣﴾

دَلَّتْ هَذِهِ الآيَاتُ عَلَى أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي مَنْ كَذَّبَ وَكَفَرَ: أَنَّ اللَّهَ يَضْرِبُ عَلَيْهِ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ، وَيَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ بِجِهَادِ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَهُمْ وَأَخِذِ الْجَزِيَةِ مِنْهُمْ، كَلَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ دِينِ اللَّهِ ﷻ.



◆ ٤١ - الشك والإسراف من أسباب الضلال :

قال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤]، قال الطبري: هكذا يصدُّ الله عن إصابة الحقِّ وقصد السبيل من هو كافرٌ به مُرتابٌ، شكٌّ في حقيقة أخبار رُسُلِهِ (١). قال السمين الحلبي: الإسراف: تجاوز الحدِّ في سائر الأفعال.. وقال إياس بن معاوية: الإسراف: ما قصَّر به عن حقِّ الله تعالى (٢). دَلَّت الآية على أن بني إسرائيل شكُّوا فيما جاء به أنبياءهم من دعوتهم لعبادة الله وحده، حتى إذا مات نبيٌّ من أنبيائهم، ادَّعوا أن الله لن يبعث لهم نبيًّا يدعوهم لتوحيد الله، وظنُّوا أن الله لن يُجدِّد لهم إقامة الحجَّة عليهم، فهلكوا بشكِّهم وإسرافهم وضلُّوا عن سواء السبيل، ففي هذه الآية دلالة على أن من سَنَّ الله: أن الله يُضِلُّ من وقع في الإسراف والارتباب، وأنهما من أسباب الضلال.

وقد كان فرعون في ضلالٍ مُبين، حيث كان يُعذِّب بني إسرائيل، وما ذلك إلا لأنه كان مُتكبِّرًا من المسرفين كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣٠-٣١].

◆ ٤٢ - عداوة الملائكة والرسل: عداوة لله ﷻ :

من سَنَّ الله تعالى: أن الله يُعادي من يُعاديه أو يعادي ملائكته أو يعادي رُسُلَهُ، كما دلَّ عليه صريح قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٢٠ / ٣٢٢).

(٢) انظر: عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٢ / ١٩٣).



◆ ٤٣ - ادعاء الألوهيّة والإلحاد من أسباب الخسران في الدنيا والآخرة:

﴿فَأَرْسَلْنَا آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَشَرَفْنَا دَاوُدَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَارُكُمْ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْزَرِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿﴾ [النازعات: ٢٠-٢٦]، قال الماوردي: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْزَرِ وَالْأُولَىٰ﴾ فيها أربعة أقاويل: أحدها: عقوبة الدنيا والآخرة، قال قتادة: عدّبه الله في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار. الثاني: عذاب أول عمره وآخره، قاله مجاهد. الثالث: الأولى قوله: ﴿مَاعَلِمْتُ لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ عَدِيًّا﴾ [القصص: ٣٨]، والآخرة قوله: ﴿أَنَارُكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾ قاله عكرمة، قال ابن عباس: وكان بينهما أربعون سنة، وقال مجاهد: ثلاثون سنة، قال السدي: وهي الآخرة ثلاثون سنة. الرابع: عذاب الأولى: الإمهال، والآخرة: في النار (١).

أخبر الله تعالى في هذه الآيات أنه ﷺ: عاقب فرعون حينما ادعى الألوهيّة، وأن من سنّنه ﷺ: أن العقاب والخسران جارٍ على فرعون وعلى كل من شاكله في ادعاء الألوهيّة والإلحاد به ﷺ؛ حيث إنه ﷺ أرشد إلى أخذ العبرة والعظة في ختام الآيات.

◆ ٤٤ - الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه سبب من أسباب الخزي في الدنيا والعذاب

يوم القيامة:

﴿ثُمَّ أَنزَلْنَا هَؤُلَاءِ نَقَلْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَخَرَجْتُمْ فَرِيقًا مِّنكُمْ مِّن دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمُ اسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِّنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿﴾ [البقرة: ٨٥]،

(١) انظر: التّكت والعيون للماوردي (٦ / ١٩٨).



أخبر الله أن من سنَّه أن يُجَازِي من يُؤْمِنُ ببعضِ دينه ﷺ ويكفرُ ببعض، بأنه ﷺ يُخزِيه ويُعَاقِبُه بالنَّارِ يومَ القِيَامَةِ، كما دَلَّ عَلَى هذِهِ السُّنَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]، وأثنى ﷺ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

◆ ٤٥ - حَسَدُ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ:

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]، دَلَّتِ الْآيَاتَانِ أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ جَعَلَ فِي قُلُوبِهِمُ الْحَسَدَ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَجَعَلَ هَذِهِ الطَّبِيعَةَ فِيهِمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَهَذَا الْحَسَدُ الَّذِي جُعِلَ فِيهِمْ، عَقُوبَةٌ لَهُمْ؛ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يُحْرِقُ الْقَلْبَ وَيُولِّمُ النَّفْسَ بِمَا تَرَى مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَإِكْرَامِهِ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ.

◆ ٤٦ - عَدَمُ رِضَا الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عَنِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَتَّبِعُوا مِلَّتَهُمْ وَيَدْخُلُوا فِي دِينِهِمْ:

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، أَنَّهُمْ لَنْ يَرْضُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَدَى الْأَزْمَانِ وَالْأَعْمَارِ، حَتَّى يَنْسَلِخُوا عَنِ دِينِهِمْ وَيَكُونُوا تَابِعِينَ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ. قَالَ



الطبري: وَلَيْسَتْ الْيَهُودُ يَا مُحَمَّدُ وَلَا النَّصَارَى بِرَاضِيَةٍ عَنْكَ أَبَدًا، فَدَعُ طَلَبَ مَا يُرْضِيهِمْ وَيُؤَافِقُهُمْ، وَأَقْبَلَ عَلَى طَلَبِ رِضَا اللَّهِ فِي دُعَائِهِمْ إِلَى مَا بَعَثَكَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ. فَإِنَّ الَّذِي تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ لَهُوَ السَّبِيلُ إِلَى الْاجْتِمَاعِ فِيهِ مَعَكَ عَلَى الْأُلْفَةِ وَالِدِّينِ الْقِيَمِ. وَلَا سَبِيلَ لَكَ إِلَى إِرْضَائِهِمْ بِاتِّبَاعِ مِلَّتِهِمْ؛ لِأَنَّ الْيَهُودِيَّةَ ضِدَّ النَّصْرَانِيَّةِ، وَالنَّصْرَانِيَّةَ ضِدَّ الْيَهُودِيَّةِ، وَلَا تَجْتَمِعُ النَّصْرَانِيَّةُ وَالْيَهُودِيَّةُ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ، وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى لَا تَجْتَمِعُ عَلَى الرَّضَا بِكَ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ يَهُودِيًّا نَصْرَانِيًّا، وَذَلِكَ مِمَّا لَا يَكُونُ مِنْكَ أَبَدًا، لِأَنَّكَ شَخْصٌ وَاحِدٌ، وَلَنْ يَجْتَمِعَ فِيكَ دِينَانِ مُتَضَادَّانِ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ. وَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَى اجْتِمَاعِهِمَا فِيكَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ سَبِيلٌ، لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَى إِرْضَاءِ الْفَرِيقَيْنِ سَبِيلٌ. وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ، فَالزَّمْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي لَجَمَعَ الْخَلْقَ إِلَى الْأُلْفَةِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ (١).

◆ ٤٧- الكُفْرُ بِاللَّهِ سَبَبٌ لِلْعَنَةِ :

﴿فَمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٨-٨٩]، قال الرازي: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى لَعَنَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ (٢). وَخَتَمَتِ الْآيَةُ الثَّانِيَةُ بِأَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي مَن يَفْعُ فِي الْكُفْرِ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالطَّرْدَ عَنْ رَحْمَتِهِ.

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٢/ ٤٨٤).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٣/ ٥٩٧).



◆ ٤٨ - الْكُفْرُ بِاللَّهِ سَبَبٌ لِعُضْبِهِ ﷻ :

﴿بِسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا وَبِعُضْبٍ عَلَى عَضْبٍ وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠]، قال الواحدي: ﴿بَبَاءُوا﴾ فَانصَرَفُوا وَاحْتَمَلُوا ﴿بِعُضْبٍ﴾ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِ تَضْيِيعِهِمُ التَّوْرَةَ ﴿عَلَى عَضْبٍ﴾ لِكُفْرِهِمْ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنِ (١). دل صريح الآية على أَنَّ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ: أَنْ الْكُفْرَ سَبَبٌ لِعُضْبِهِ ﷻ، وَأَنْ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اسْتَحَقَّ غُضْبَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

◆ ٤٩ - الْكُفْرُ سَبَبٌ لِقَسْوَةِ الْقُلُوبِ وَالطَّبْعِ عَلَيْهَا :

﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [١٥٥] وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥-١٥٧]، قال الطبري: كَذَّبُوا فِي قَوْلِهِمْ: قُلُوبُنَا غُلْفٌ، مَا هِيَ بِغُلْفٍ وَلَا عَلَيْهَا أُعْطِيَتْ؛ وَلَكِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ جَعَلَ عَلَيْهَا طَابِعًا بِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ (٢).

﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعَنَّا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَّةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣]، ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرُ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، دَلَّتِ الْآيَاتُ السَّابِقَةُ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي الْكُفْرِ: أَنَّهُ

(١) انظر: الوجيز للواحدي (ص ١١٧).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٧/ ٦٤٦).



سببٌ لقسوة القلوبِ والطبعِ عليها، كما حصل لبني إسرائيل الذين نقضوا ميثاقهم وعهدهم وكفروا بالله ﷻ.

◆ ٥٠- رمي أهل الباطل للأنبياء ولأهل الحق باتهم والدعاوى الباطلة:

مِنْ سُنَنِ اللَّهِ الَّتِي جَعَلَهَا فِي أَهْلِ الْبَاطِلِ: رَمَيْهِمْ أَهْلَ الْحَقِّ وَالِاسْتِقَامَةِ بِاتِّهَمِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي لَيْسَ عَلَيْهَا دَلِيلٌ، كَمَا اتَّهَمَ قَوْمُ فِرْعَوْنَ مُوسَى بِالسِّحْرِ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحِرُ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩].

وَاتَّهَمَ فِرْعَوْنُ مُوسَى بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي عَلَّمَ سِحْرَهُ السِّحْرَ: ﴿قَالَ أَمَّا نَتُورُهُ وَقَبْلَ أَنْ نَأْذَنَ لَكَ بِآيَاتِنَا وَلَكَيْلُكَ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [طه: ٧١].

وَاتَّهَمَ فِرْعَوْنُ مُوسَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِأَنَّهُ مَسْحُورٌ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَأَلَ نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَلْمُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١].

وَاتَّهَمُوا مُوسَى بِرَغْبَتِهِ بِإِخْرَاجِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ مِنْ دِيَارِهِمْ: ﴿قَالَ لِلْمَلَاحِظِينَ إِنَّ هَذَا السَّحِرُ عَلِيمٌ﴾ ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء: ٣٤-٣٥].

وَاتَّهَمُوا مُوسَى بِالْكَذِبِ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٣-٢٤].

وَاتَّهَمُوا مُوسَى بِالْجُنُونِ: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَوَلَّى بِرُكْبِهِ وَكَانَ سَاحِرًا وَجَحُونًا﴾ [الذاريات: ٣٨-٤٠].

ولا يخفى ما في هذه الاتهامات من التعارض والتناقض، وهذه سنة الله في أهل الباطل برميهم الدعوى الباطلة لأهل الحق، كما حصل لجميع الأنبياء حتى نبينا محمد ﷺ، ورمي أتباعهم على الحق والهدى إلى قيام الساعة.



٥١- لجوء أهل الباطل للقوة عند إقامة الحجّة عليهم:

مِنْ سُنَنِ اللَّهِ الَّتِي جَعَلَهَا فِي أَهْلِ الْبَاطِلِ: لُجُوءُهُمْ إِلَى الْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ وَالتَّعْذِيبِ وَالتَّنْكِيلِ بِأَهْلِ الْحَقِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ فِرْعَوْنَ: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا أُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيَاتُنَا أَسَدَّ عَذَابًا وَأَبْغَى﴾ [طه: ٧١]، ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا أُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ٤٩]، ﴿قَالَ سَقِطُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِهِ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، ﴿قَالَ لِيْنِ اتَّخَذَتِ الْهَاءَ غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٢٥]، وهذه عادةٌ وسنةٌ معروفةٌ عند أهل الباطلِ أنهم عند عدم استطاعتهم على الحوارِ وإقامة الحجج، يلجئون إلى القوةِ والبطش، وهذه ليست مِنْ سُنَّةِ وَعَادَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ كَمَا سَارَ عَلَيْهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَاتَّبَاعُهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَهَذِهِ سُنَّةٌ أَغْلِبِيَّةٌ، فَقَدْ يَلْجَأُ أَهْلُ الْبَاطِلِ إِلَى اللَّيْنِ وَاسْتِخْدَامِ بَعْضِ الْأَسَالِبِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا خِدَاعٌ وَإِظْهَارُ الْمُوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ لِتَأْلِيفِ قَلْبِ الْمُسْلِمِ وَكَسْبِ رِضَاةٍ، لِلِاسْتِفَادَةِ مِنْ مَالِهِ أَوْ تَخْفِيفِ عِدَاوَتِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

٥٢- شدة حرص بني إسرائيل والمشركين على الحياة الدنيا وشدة كراهيتهم

للموت:

مِنْ سُنَنِ اللَّهِ الَّتِي جَعَلَهَا فِي الْكُفَّارِ بِشَكْلِ عَامٍّ وَفِي الْيَهُودِ بِشَكْلِ خَاصٍّ: شِدَّةُ حِرْصِهِمْ عَلَى الْحَيَاةِ وَشِدَّةُ كِرَاهِيَتِهِمْ لِلْمَوْتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿٩١﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيٰوةٍ وَمِنْ



الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَزَّحٍ عَلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿البقرة: ٩٤-٩٦﴾، وهذه السنة والعادة مما عوقب به بنو إسرائيل ومن
شابههم ممن ابتعد عن هدي الله وشريعته، كما قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ
أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قِصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟
قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ
الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟
قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» (١).

◆ ٥٣- قَلَّةٌ مِنْ يُومِنُ بِالرُّسُلِ، وَكَثْرَةُ الْكَافِرِينَ:

مِنْ سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي النَّاسِ أَنَّهُ: جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالصَّالِحِينَ وَالشَّاكِرِينَ
قَلَّةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِأَوْلَادِي
إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿البقرة: ٨٣﴾، ﴿مَنْ
الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعَيْنَا لِيَّا
بِالْسِّيْتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ
لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿النساء: ٤٦﴾.

وَمِنْ سُنَنِهِ ﷺ أَنَّهُ جَعَلَ أَكْثَرَ النَّاسِ كَافِرِينَ بِهِ سَبْحَانَهُ مُعْرِضِينَ عَنْ هَدْيِهِ،
لِضَعْفِ خَلْقَتِهِمُ الَّتِي شَاءَ اللَّهُ ﷻ أَنْ يَخْلُقَهُمْ وَيَجْبِلَهُمْ عَلَيْهَا، وَمِنَ الْأَوْصَافِ الَّتِي
وُصِفَ بِهَا الْكثْرَةُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: نَفْيُ الْإِيمَانِ: ﴿أَوْ كَلَّمَا عَلَيْهِمْ وَأَعْتَدُوا لَهَا بَدَدًا فَرِيقٌ

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ: كِتَابُ: الْمَلَا حِم، بَابُ: فِي تَدَاعَى الْأُمَمِ عَلَى الْإِسْلَامِ، (رقم: ٤٢٩٧) وَأَحْمَدُ
فِي مُسْنَدِهِ (رقم: ٨٧١٣) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (٢/٦٤٧).



مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿البقرة: ١٠٠﴾، ونفي الشكر: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿البقرة: ٢٤٣﴾، ونفي العلم: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحُسْنَىٰ قَالُوا إِنَّا هَٰذِهِ وَإِن نُّصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَٰغَرُوهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿الأعراف: ١٣١﴾.

ومن الأوصاف التي وُصفوا بها: كثرة الفسق فيهم: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿الأعراف: ١٠٢﴾، وكثرة أكلهم أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن كَثِيرٍ مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴿التوبة: ٣٤﴾.

◆ ٥٤- الباطل مهما علا مصيره إلى الزوال:

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿الزخرف: ٥١﴾، أخبر ﷺ: أن فرعونَ علا في الأرض وتكبر وتجبّر، وأُعطي من خزائن الأرض الشيء الكثير، وعظم في نفسه وفي قومه حتى ادعى الألوهية، ولكن من سنة الله تعالى: أنه ما ارتفع باطلٌ أو فسادٌ ونحوها إلا زال واضمحَلَّ، فأهلك الله فرعونَ وقومه كما قال تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿الأعراف: ١٣٧﴾، ﴿كَذَابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَعْرَفْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴿الأنفال: ٥٤﴾.

وكما حصل في التحدي الذي بين موسى وفرعون: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ أَخْبِرْ إِخْوَتَكَ فَوَقَّعَ الْوَعْدَ بِمَا كَانَ يَفْعَلُ لِكَيْ يُوَفَّىٰ الْوَعْدَ ﴿١١٧﴾ فَفَعَلُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَٰغِرِينَ ﴿١١٨﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَٰجِدِينَ ﴿الأعراف: ١١٧-١٢٠﴾، فقد دلت الآيات



عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى: أَنَّ الْحَقَّ لَهُ الْقُوَّةُ وَالنَّفْوذُ، وَالْبَاطِلُ فِيهِ الْخِذْلَانُ
وَالصَّغَارُ، وَمَصِيرُهُ إِلَى الزَّوَالِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا
هُوَ رَاقٍ﴾ [الأنبياء: ١٨].



المَطْلَبُ السَّادِسُ: السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْجَزَاءِ

٥٥- الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ:

رَزَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ الْعُلُوَّ فِي الْأَرْضِ وَالْغِنَى وَالرِّئَاسَةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا
فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]، ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ
وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، وَطَعْنَى فِرْعَوْنُ ﴿وَأَسْتَكْبَرَ
هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [القصص: ٣٩]، وَلَكِنْ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى: أَنَّ الْجَزَاءَ
مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَأَذَلَّهُ اللَّهُ وَأَهَانَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجْنَا لَهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ
وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٨]، ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ مِنْ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ
جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣]، ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ
الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠]، أَخْبَرَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّهُ أَخْرَجَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنْ
جَنَّاتِهِمْ وَمَزَارِعِهِمْ وَكُنُوزِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَمَقَامِهِمُ الْكَرِيمِ الَّذِي كَانُوا يَعِيشُونَ فِيهِ،
وَأَخْبَرَ ﷺ: أَنَّهُ أَغْرَقَهُمْ وَأَذَلَّهُمْ بِنَيْدِهِمْ بِالْيَمِّ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِيهِ إِذْلَالٌ لَهُمْ وَمُجَازَاةٌ
لَهُمْ عَلَى اسْتِكْبَارِهِمْ وَإِخْرَاجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَإِذْلَالِهِمْ، دَلَالَةٌ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى
بِمُجَازَاتِهِمْ مِنْ جِنْسِ أَعْمَالِهِمْ.



٥٦- المغفرة والتوبة لمن آمن وعمل عملاً صالحاً:

﴿ إِنَاءً آمِنًا بَرْنَا لِغَفْرِنَا خَطِيئَتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه: ٧٣]،
 ﴿ إِنَّا نَظْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٥١]، وردت هاتان الآيتان
 على لسان السحرة الذين آمنوا مع موسى، وفيها تقرير لسنة الله تعالى، في أن من آمن
 به، استحقَّ مغفرته ﷻ.

﴿ وَاللِّي عَصَاكَ فَمَا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ بَلْ مَوَسَى لَا يَخْفَى لِي لِي لَا يَخَافُ لَدَيْ
 الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النمل: ١٠-١١]، في هذه الآية
 زيادة معنى على الآيتين السابقتين، وهو: أنه لا بُدَّ من فعل الأعمال الصالحة
 الحسنة بعد التوبة، قال السمرقندي: أي: فعل إحساناً بعد سوء أي: بعد إساءته،
 فَإِنِّي: غَفُورٌ رَحِيمٌ^(١)، وقال ابن عطية: وقوله: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا ﴾ معناه: عملاً صالحاً
 مقترناً بتوبة، وهذه الآية تقتضي حتم المغفرة للتائب^(٢).

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُفُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا
 الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَأَنزِيلُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦١]، في
 هذه الآية: لما جاء فعل الشرط في دخول بيت المقدس والاستغفار، جاء جواب
 الشرط: بالوعد بمغفرة الخطايا وزيادة المحسنين وهم المطيعون لله على ما وعدوا
 من عُفْرَانِ الْخَطَايَا^(٣).

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٥٧٤).

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٥١).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (١٣/ ١٧٨).



◆ ٥٧- مُجَازَاةُ الْمُحْسِنِ بِالْحُكْمِ وَالْعِلْمِ :

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الفصل: ١٤]، قال الطبري: يقول تعالى ذكره: كما جزينا موسى على طاعته إيانا وإحسانه بصبره على أمرنا، كذلك نجزي كلَّ مَنْ أَحْسَنَ مِنْ رُسُلِنَا وَعِبَادِنَا، فَصَبَرَ عَلَىٰ أَمْرِنَا وَأَطَاعَنَا، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَيْنَاهُ عَنْهُ^(١). وهذا من سُنَّتِهِ ﷺ أنه: يجزي المُحْسِنَ، فمنهم من يُجَازِيهِ بِالْعِلْمِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُجَازِيهِ بِالْحِكْمَةِ أَوْ الْقُوَّةِ أَوْ النُّصْرِ أَوْ الرَّفْعَةِ أَوْ الذِّكْرِ الْحَسَنِ، حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ ﷺ.

◆ ٥٨- مُضَاعَفَةُ الْأَجُورِ لِلْمُحْسِنِ وَزِيَادَتُهَا :

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَنُزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨].

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنُزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٦١]، دَلَّتْ هَاتَانِ الْآيَاتَانِ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ: كَرَمَهُ وَفَضْلَهُ بِمُضَاعَفَةِ الْأَجُورِ وَزِيَادَةِ الْمُحْسِنِينَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَدُلُّ عَلَىٰ هَذِهِ السَّنَةِ قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ»^(٢).

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٩/٥٣٦).

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ: الرَّفَاقِ، بَابُ: مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ، (رقم ٦٤٩١)، وَمُسْلِمٌ

فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ: الْإِيمَانِ، بَابُ: إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ، (رقم ١٣١).



◆ ٥٩ - إثابة المحسن على إحصانه ومجازاة المسيء على إساءته يوم القيامة :

مِنْ سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى: أَنَّهُ لَا يَدْعُ أَحَدًا مِنَ الْمُكَلِّفِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَيُحَاسِبُهُ وَيُجَازِيهِ، فَيُثِيبُ الْمُحْسِنِينَ عَلَى إِحْسَانِهِمْ، وَيَجْزِي وَيُعَاقِبُ الْمُسِيئِينَ عَلَى إِسَاءَتِهِمْ، كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْآيَاتُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي قِصَّةِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَهِيَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ وَمَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٦﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿طه: ٧٤-٧٦﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰرِئِينَ وَالصَّٰدِقِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿البقرة: ٦٢﴾، ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿البقرة: ٨١-٨٢﴾، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ ﴿البقرة: ٨٦﴾، ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ ءَأْمَانِيهِمْ تِلْكَ ءَأْمَانِيهِمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿البقرة: ١١١-١١٢﴾، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿الأعراف: ١٤٧﴾، ﴿قَالَ عَدَايَ أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿الأعراف: ١٥٦﴾، ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكَتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصَلِّينَ ﴿الأعراف: ١٧٠﴾، ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴿الإسراء: ٧﴾، ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿طه: ١٥﴾،



◆ ٦٠- الانتقام من أعداء الله وأعداء أنبيائه:

مِنْ سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى: أَنَّ اللَّهَ يَنْتَقِمُ مِمَّنْ يُعَادِيهِ وَيُعْرَضُ عَنْ دِينِهِ وَشَرِيعَتِهِ، وَالْإِنْتِقَامُ لَهُ صُورٌ كَثِيرَةٌ، وَمَا وَرَدَ فِي قِصَّةِ مُوسَى: إِمَّا بِالْإِغْرَاقِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَسْفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿[الزخرف: ٥٥-٥٦]﴾، ﴿وَأَذَّ قَرْفَنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَجْحَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿[البقرة: ٥٠]﴾، ﴿وَأَجْحَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿[الشعراء: ٦٥-٦٦]﴾، ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿[الذاريات: ٤٠]﴾، ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ وَجَمِيعًا ﴿[الإسراء: ١٠٣]﴾، ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُعْرَفُونَ ﴿[الدخان: ٢٤]﴾.

وَإِمَّا بِالْإِخْرَاجِ مِنَ الدِّيَارِ: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونٍ ﴿٧٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿[الشعراء: ٥٧-٥٩]﴾.

وَإِمَّا بِتَخْرِيبِ دِيَارِهِمْ وَأَبْنِيَّتِهِمْ: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿[الأعراف: ١٣٥-١٣٧]﴾.

وَإِمَّا بِمَسْخِهِمْ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿[الأعراف: ١٦٥-١٦٦]﴾.

وَإِمَّا بِإِدْخَالِهِمُ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا يَشْمَلُ جَمِيعَ بَنِي آدَمَ مِمَّنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ: ﴿وَكَافٍ بِنَالِ فِرْعَوْنَ سُوءِ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿[غافر: ٤٥-٤٦]﴾.



◆ ٦١ - مُعَاقِبَةٌ مَن صَدَّ عَنِ دِينِ اللَّهِ وَكَذَبَ شَرِيعَتَهُ :

مِن سُنَّةِ اللَّهِ أَنَّ التَّكْذِيبَ بِدِينِ اللَّهِ وَالصَّدَّ عَنْهُ مِنْ أَسْبَابِ عِقَابِ اللَّهِ، وَأَنَّه ﷻ يعاقبهم:

إِنَّمَا بتعذيبهم: ﴿قَالَ لَهُم مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذَّابًا فَيسْحَتَكُمْ بَعْدَ ابْتِغَاءِ وَفَدَّ حَابَ مِنْ أَفْتَرِي﴾ [طه: ٦١]، ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه: ٤٨].

وإنما بإهلاكهم: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَآيُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: ١٦]، قال ابن قتيبة: أي تهلك. والردي: الموت والهلاك^(١). ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٨].

وإنما بتدميرهم وأخذهم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ وَآخَاهُ هَارُونَ وَزَيْرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥-٣٦]، ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤١-٤٢].

◆ ٦٢ - مُعَاقِبَةٌ مَن يَطْلُبُ الْآيَاتِ لِأَجْلِ التَّعَنُّتِ وَالتَّحْدِي:

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣]، في هذه الآية طلب بنو إسرائيل من نبينا محمد ﷺ أن يُنزلَ عليهم كتابًا مكتوبًا من السماء، وقيل: إنَّ اليهودَ سألوا النبي ﷺ أن يصعدَ إلى السماء وهم يرونه بلا كتاب، وينزل معه كتابٌ تعنتًا^(٢). وقد سألوا موسى ما هو أكثر من ذلك كطلبهم رؤية الله

(١) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٢٧٨).

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٢/١٥١٤).



تعالى، فعوقبوا بالصاعقة وهي نارٌ أحرقتهم، وذلك بسببِ تعتّبهم وتجاوزهم حدودهم وما شرعه الله لهم.

﴿أَمَّا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٥﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِبِينَ ﴿٥٦﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: ٥٢-٥٥]، في هذه الآيات طلب فرعونُ وبنو إسرائيل أن يُلقِي اللهُ على موسى أسورةً من ذهبٍ من السماءِ يتسوّرُ بهما كعادةِ ملوكِهِم، أو تأتي الملائكةُ متتابعين يسيرون معه ويعضدونه. قال القرطبي: فَأَوْهَمَ قَوْمَهُ أَنَّ رُسُلَ اللَّهِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا كَرُسُلِ الْمُلُوكِ فِي الشَّاهِدِ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ رُسُلَ اللَّهِ إِنَّمَا أُيِّدُوا بِالْجُنُودِ السَّمَاوِيَّةِ (١). فعوقبوا بالإغراقِ وأهلكهم أجمعين؛ ولهذا دلّت هذه الآيات على أن سُنَّةَ اللهِ فيمن يتعنّت ويطلب الآيات للتعجيز أو للتحدي أو للتعنت، أن الله يُعاقبه ويُجازيه.

◆ ٦٣ - معاقبة من يكثر الأسئلة ويتعنّت في دين الله بالمشقة عليه:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ قَالُوا مَتَى مَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوُحُهَا تَسْرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذُلٌّ لِّتَشِيرِ الْأَرْضِ وَلَا تَسْقَى الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَّا شَيْعَةَ فِيهَا قَالُوا أَلَنْ حِثَّتْ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة: ٦٧-٧١]، لا يخفى ما في قصة البقرة من التعنّت في السؤالِ عن البقرة وصفتها

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٣/١٠٠).



ولونها، فسق الله عليهم، عن عبدة: وَلَمْ تُؤْخَذِ الْبَقْرَةُ إِلَّا بِوَزْنِهَا ذَهَبًا، قَالَ: وَلَوْ أَنَّهُمْ أَخَذُوا أَدْنَى بَقْرَةٍ لَأَجْرَأَتْ عَنْهُمْ (١).

ولذلك قال تعالى لإمة الإسلام: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَآءِ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُؤُهُ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ تُبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: ١٠١-١٠٢].

وقد بَوَّبَ البخاري في «صحيحه» بـ: «بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكْلُفِ مَا لَا يَعْينُهُ» (٢)، وساق الأحاديث في ذلك، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ذُرُونِي مَا تَرَكَتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَيَّ أَنبِيَآئِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ» (٣).

وفي كل ما سبق من الأدلة دلالة على سُنَّةِ اللَّهِ فيمن يُكثِرُ الأسئلة للتعنت أو التشدُّق، أَنَّهَا سَبَبٌ لِلتَّشْدِيدِ وَالمَشَقَّةِ عَلَيْهِ، ولذا نُهِيَ المسلمون عن هذه الصفة كي لا يقعوا فيما وقع فيه بنو إسرائيل.

◆ ٦٤ - التبديل والتحريف من أسباب العذاب والعقاب:

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٢]، أخبر الله أن بني إسرائيل بدلوا وغيروا وحرَّفوا ما أمرهم به، فعاقبهم الله تعالى على صنيعهم، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٢/ ٧٦).

(٢) انظر: صحيح البخاري (٩/ ٩٥).

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب: الفصائل، باب: توقيره ﷺ، وتترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع، ونحو ذلك، (رقم: ١٣٣٧).



النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، فَبَدَّلُوا، وَقَالُوا: حِطَّةٌ، حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ» (١).

دلت الأدلة على أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ: فيمن يُبَدِّلُ وَيُحَرِّفُ فِي دِينِهِ أَنَّهُ يُعَاقِبُهُ كَمَا عَاقَبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى تَحْرِيفِهِمْ وَتَبْدِيلِهِمْ كَلَامَ اللَّهِ وَمَا جَاءَهُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالهُدَى.

◆ ٦٥- الجزاء لا يختص بالأمر والقائد وإنما يشمل المطيع والمستجيب:

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذاريات: ٤٠]، ﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٧٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٧-٩٨]، أخبر الله تعالى في هذه الآيات أَنَّهُ عَاقَبَ فِرْعَوْنَ وَمَنْ أَطَاعَهُ وَانْقَادَ لَهُ وَاسْتَجَابَ لِرَأْيِهِ، فَشَارِكُوهُ فِي الْعَذَابِ. قال الطبري: يَقْدُمُ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُودُهُمْ، فَيَمْضِي بِهِمْ إِلَى النَّارِ حَتَّى يُورِدَهُمُوهَا، وَيَصْلِيهِمْ سَعِيرُهَا (٢).

وفي هذا دلالة على سُنَّةِ اللَّهِ: أَنَّهُ يُعَاقِبُ وَيُعَذِّبُ الْأَمْرَ وَالْقَائِدَ وَالرَّئِيسَ، وَمَنْ اتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ وَرَضِيَ بِعَمَلِهِ، وَلَوْ لَمْ يَعْمَلْ عَمَلَهُ، بَلْ وَيَتَبَرَّأَ الرَّؤْسَاءُ - وَعَلَى رَأْسِهِمْ إِبْلِيسُ - مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ الْجُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ: تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ...)،

(رقم ٤٤٧٩) وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ: التَّفْسِيرِ، (رقم ٣٠١٥).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١٢ / ٥٦٢).



تَعَالَى مُوسَى، وَالْأَكْثَرُونَ عَلَيَّ أَنْ الْآيَةَ عَامَّةٌ (١).

دلَّت الآيتان اللتان وردتا في بني إسرائيل على أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ فِيْمَنْ أَعْرَضَ عَنْ هُدَاهُ وَدِينِهِ الْمُسْتَقِيمِ، إِمَّا لِفَسْقِهِ أَوْ لظُلْمِهِ أَوْ لِتَكْبُرِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَصْرِفُهُ عَنْ دِينِهِ وَيَزِيدُهُ فِي غِيِّهِ وَضَلَالِهِ، وَالْآيَةُ الْوَارِدَةُ فِي ذَلِكَ عَامَّةٌ عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ وَليست خاصةً ببني إسرائيل كما رجحه البغوي، ولِنزولِ هذه الآية في أمةٍ محمدٍ ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

◆ ٦٧- مَنْ نَسِيَ اللَّهَ نَسِيَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَئِيسٍ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، قال ابن الجوزي: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ يعني: تركوا ما وُعظوا به ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ وهم: الناهون عن المنكر، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هم: المعتدون في السبت (٢). أخبر الله تعالى: أَنَّهُ عَاقَبَ الْفِرْقَةَ الَّتِي نَسِيَتْ أَمْرَ اللَّهِ وَتَرَكَتْهُ عَنْ عَمْدٍ، وَهَمَّ الَّذِينَ نُهُوا عَنِ الْإِصْطِيَادِ يَوْمَ السَّبْتِ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ وَجَازَاهُمْ عَلَى نَسْيَانِهِمْ، فَنَسِيَهُمْ أَي: تَرَكَهُمْ وَلَمْ يُنَجِّهِمْ مَعَ مَنْ أَنْجَاهُمْ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ فِيْمَنْ نَسِيَ اللَّهَ وَتَرَكَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَتَرَكَ طَاعَتَهُ، أَنَّ اللَّهَ يَنْسَاهُ أَي: يَتْرُكُهُ وَيَدَعُهُ فَلَا يُنَجِّيه وَلَا يُدْخِلُهُ فِي رَحْمَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَدَلَّ عَلَى هَذِهِ السُّنَّةِ صَرِيحُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٣٤).

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ١٦٣).



◆ ٦٨ - الشُّكْرُ سَبَبٌ لِلزِّيَادَةِ وَالْبَرَكَةِ، وَالْكَفْرُ سَبَبٌ لِلنَّقْصِ وَالْإِحْبَاطِ :

قال الله تعالى على لسان موسى^(١) لبني إسرائيل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

قال الماوردي: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات: أحدها:

لئن شكرتم إنعمي لأزيدنكم من فضلي، قاله الربيع. الثاني: لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم من طاعتي، قاله الحسن وأبو صالح. الثالث: لئن وحدثم وأطعمت لأزيدنكم، قاله ابن عباس. ويحتمل تأويلاً رابعاً: لئن آمنتم لأزيدنكم من نعيم الآخرة إلى نعيم الدنيا^(٢).

وهذا فيه دلالة على سُنَّةِ اللَّهِ فِي: الشُّكْرِ أَنَّهُ سَبَبٌ لِلزِّيَادَةِ وَالْبَرَكَةِ وَالْخَيْرِ، وَأَنَّ الْكُفْرَانَ سَبَبٌ لِلنَّقْصِ وَالْإِحْبَاطِ وَالْخُسْرَانِ.



(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٤١)، مفاتيح الغيب للزرازي (١٩/ ٦٦)، الجامع لأحكام القرآن

للقرطبي (٩/ ٣٤٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ١١٥).

(٢) انظر: التُّكْتُ وَالْعُيُونُ لِلْمَاوَرِدِيِّ (٣/ ١٢٣).



الخاتمة

الحمد لله والشكر له بإتمام بحث: «سُنَنُ اللَّهِ فِي قِصَّةِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ».

وقد تمَّ في هذا البحث التعريف بسُنَنِ اللَّهِ فِي الشَّرْعِ وَهِيَ: الْقَوَانِينُ الْمُطَرِّدَةُ الَّتِي وَضَعَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَعَلَى مَخْلُوقَاتِهِ، الْمَقْطُوعُ بِتَحَقُّقِهَا مَا لَمْ يَعْضُ لَهَا مَانِعٌ. وَتَمَّ بَيَانُ أَنْوَاعِ سُنَنِ اللَّهِ وَهُمَا: السُّنَنُ الطَّبِيعِيَّةُ وَالسُّنَنُ الدِّيْنِيَّةُ. وَتَمَّ بَيَانُ سُبُلِ مَعْرِفَةِ السُّنَنِ وَفَوَائِدِ مَعْرِفَتِهَا.

وَالسُّنَنُ الْمُسْتَنْبَطَةُ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ (٦٨) سُنَّةٌ، وَهِيَ تَعَلَّقُ بِسِتَّةِ مَحَاوِرٍ:

المِحْوَرُ الْأَوَّلُ: السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِاللَّهِ ﷻ وَتَشْتَمِلُ عَلَى: (١٣) سُنَّةٍ، وَالمِحْوَرُ الثَّانِي: السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْإِيمَانِ وَتَشْتَمِلُ عَلَى (٨) سُنَنِ، وَالمِحْوَرُ الثَّلَاثُ: السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالدَّعْوَةِ وَتَشْتَمِلُ عَلَى (٦) سُنَنِ، وَالمِحْوَرُ الرَّابِعُ: السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ وَتَشْتَمِلُ عَلَى (٤) سُنَنِ، وَالمِحْوَرُ الْخَامِسُ: السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ وَتَشْتَمِلُ عَلَى (٢٣) سُنَّةٍ، وَالمِحْوَرُ السَّادِسُ: السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْجَزَاءِ وَتَشْتَمِلُ عَلَى (١٤) سُنَّةٍ.

وَالسُّنَنُ الْكَلِيَّةُ (٦٤) سُنَّةٌ، وَالسُّنَنُ الْأَغْلِيَّةُ (٤) سُنَنِ.



وَكُلُّ هَذِهِ السُّنَنِ قَائِمَةٌ عَلَى عَدْلِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ ﷻ، وَالْمُسْلِمُونَ بِحَاجَةٍ إِلَى مَعْرِفَةِ سُنَنِ اللَّهِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهَا مِنْ رِضَى اللَّهِ وَالْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ، وَالِابْتِعَادِ عَنِ السُّنَنِ الَّتِي تُوَدِّي لِسَخَطِ اللَّهِ وَالْخُسْرَانَ وَالْهَلَاقَةَ، وَمِنْ أَهَمِّ مَا يَنْبَغِي التَّمَسُّكُ بِهِ مِمَّا تَتَضَمَّنُهُ تِلْكَ السُّنُنُ: أَنَّ الصَّبْرَ مِنْ أَسْبَابِ التَّمَكِينِ وَحُسْنِ الْعَاقِبَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ أَعْطَى الْأَمْنَ وَالْمَعِيَّةَ وَالرَّعَايَةَ لِأَوْلِيَائِهِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ وَالتَّقْوَى سَبَابِ أَسَاسِيَّانِ لِاصْطِفَاءِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَالْإِيمَانَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ دَفْعِ الْبَلَاءِ، وَأَنَّ اللَّيْنَ فِي الدَّعْوَةِ سَبَبٌ فِي تَقْرِيْبِ النَّاسِ لِقَبُولِ الْحَقِّ، وَأَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ وَيُنْجِي وَيُمْكِّنُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ الشُّكْرَ سَبَبٌ لِلْبِرْكَةِ، وَالْمَغْفِرَةَ وَالتَّوْفِيقَ خَاصًّا بِمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَإِثَابُهُ اللَّهُ لِلْمُحْسِنِ وَعَدْمُ إِضَاعَةِ أَجْرٍ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا.

وَمِنْ أَهَمِّ مَا يَنْبَغِي تَجَنُّبُ الْوُقُوعِ فِيهَا تَتَضَمَّنُهُ تِلْكَ السُّنُنُ: أَنَّ الشَّرْكَ وَالظُّلْمَ وَالطُّغْيَانَ مِنْ أَسْبَابِ الْهَلَاقِ وَالْخُسْرَانَ، وَأَنَّ الْكُفْرَ بِاللَّهِ سَبَبٌ لِلْعَنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ وَسَبَبٌ لِقَسْوَةِ الْقُلُوبِ، وَأَنَّ مَكْرَ وَكَيْدَ أَهْلِ الْبَاطِلِ بِأَهْلِ الْإِسْلَامِ إِلَى خُسَارٍ وَاضْمِحْلَالٍ، وَأَنَّ الَّذِي يَصُدُّ عَنِ دِينِ اللَّهِ وَيُحَارِبُ أَوْلِيَائَهُ، يُعَاقِبُهُ اللَّهُ وَيَنْتَقِمُ مِنْهُ، وَأَنَّ الْعِلْمَ بِدُونِ عَمَلٍ وَبِأَلٍ عَلَى صَاحِبِهِ، وَمَنْ تَعَنَّتْ وَبَدَّلَ وَحَرَّفَ شَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَذَّبَهُ، وَأَنَّ مَنْ رَضِيَ بِالْبَاطِلِ وَلَمْ يَعْمَلْ شَمْلَهُ الْعِقَابِ، وَأَنَّ الْكُفْرَ سَبَبٌ لِإِحْبَاطِ الْأَعْمَالِ، وَمَنْ يَتَوَلَّى يَسْتَبْدِلُهُ اللَّهُ بِخَيْرٍ مِنْهُ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُضُرَّ اللَّهُ فَإِنَّمَا يُضُرُّ نَفْسَهُ، وَمَنْ نَسِيَ اللَّهَ نَسِيَ اللَّهُ نَسِيَهُ اللَّهُ، نَسَأَ اللَّهُ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

وَأَيُّ سَنَةٍ لَمْ يَرَ الْمُسْلِمُ تَتَحَقَّقْهَا، فَلْيُرَاجِعْ نَفْسَهُ وَلِيَتَّهَمَهَا، فَإِنَّ سُنْنَ اللَّهِ لَا تَتَخَلَّفُ إِلَّا بِوُجُودِ عَوَارِضٍ تَحْجِزُهَا.



◆ وفيما يلي أهم التوصيات:

أوصي بدراسة سُنَنِ الله في القرآن الكريم وشواهدِها من السُّنَّةِ النبويَّةِ في موضوعاتٍ متنوعةٍ كالدَّعوة، والإيمان، والجهاد، والتَّدْرِجِ، والتَّعامُلِ مع الأولياءِ والأعداءِ، ونحو ذلك، ودراسة السُّنَنِ الإلهية في القصص القرآنيِّ كقصة نوح وصالح وثمرود وإبراهيم ولوط ويوسف وعيسى وغيرهم من الأنبياء، ودراسة السُّنَنِ الإلهية في غزوات النبي ﷺ والفتوحات والشؤون الأسرية والاجتماعية، الواردة في القرآن الكريم، وكذلك السُّنَنِ الإلهية في المؤمنين والكافرين والمنافقين ونحوهم، وأوصي كذلك بدراسة السُّنَنِ الإلهية في سورة من سور القرآن الكريم.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمد





تَبْتُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

١. الإبانة الكبرى، ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله العكبري، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، الرياض، دار الراجعية للنشر والتوزيع، د. ط. د. ت.
٢. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، محمد ناصر الدين، بيروت، المكتبة الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.
٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين، الرياض، دار عطاءات العلم، ط ٥، ١٤٤١ هـ.
٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٨ هـ.
٥. بحر العلوم، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، د. ط. د. ن. د. ت.
٦. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠ هـ. د. ط.
٧. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة. د. ت.
٨. تأويلات أهل السنة، الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تحقيق: د. مجدي باسلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٦ هـ.
٩. التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، أحمد بن محمد، تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي محمد، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
١٠. التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، تونس، الدار



التونسية للنشر، طبعة: ١٩٨٤هـ.

١١. التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ.
١٢. تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس تحقيق: أسعد محمد الطيب، السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ٣، ١٤١٩هـ.
١٣. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ.
١٤. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة: ١٤١٠هـ.
١٥. تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، بيروت، دار إحياء التراث، ط ١، ١٤٢٣هـ.
١٦. تهذيب اللغة، الأزهرى، محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢١هـ.
١٧. التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، زين الدين محمد بن علي، تحقيق: عبد الخالق ثروت، القاهرة، عالم الكتب، ط ١، ١٤١٠هـ.
١٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ.
١٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٢٠. جامع الرسائل، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، تحقيق: محمد سالم رشاد، الرياض، دار العطاء، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٢١. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ.
٢٢. جمهرة اللغة، ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٨٧م.



٢٣. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، السعودية، دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٩هـ.
٢٤. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق. د.ت.
٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، محمود بن عبد الله، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ.
٢٦. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٢٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، محمد ناصر الدين، الرياض، مكتبة المعارف، ط ١. د.ت.
٢٨. السنة، ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد الشيباني، تحقيق: الألباني، بيروت، المكتبة الإسلامي، ط ١، ١٤٠٠هـ.
٢٩. سنن ابن ماجه، ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
٣٠. سنن أبي داود، أبو داود، سليمان السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا، المكتبة العصرية. د.ت.
٣١. السنن الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ.
٣٢. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، السعودية، دار طيبة، ط ٨، ١٤٢٣هـ.
٣٣. الصحاح، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٤، ١٤٠٧هـ.



٣٤. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٥. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي. د.ت.

٣٦. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ.

٣٧. غرائب القرآن و رغائب الفرقان، النيسابوري، الحسن بن محمد، تحقيق: زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ.

٣٨. غريب القرآن، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، طبعة: ١٣٩٨هـ.

٣٩. فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، ودار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٤هـ.

٤٠. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٧هـ.

٤١. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٤٢. كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، علاء الدين البخاري، عبد العزيز بن أحمد، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت.

٤٣. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت.

٤٤. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤٥. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، طبعة: ١٤١٦هـ.



٤٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبد الحق بن غالب، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
٤٧. المحصول، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤١٨ هـ.
٤٨. المختصر في أصول الحديث، الجرجاني، علي بن محمد، تحقيق: علي زوين، الرياض، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٠٧ هـ.
٤٩. مسند أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ.
٥٠. مصطلح الحديث، ابن عثيمين، القاهرة، مكتبة العلم، ط ١، ١٤١٥ هـ.
٥١. المُصنَّف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٠٩ هـ.
٥٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
٥٣. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، إبراهيم بن السري، تحقيق: عبد الجليل عبده شليبي، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
٥٤. مفاتيح الغيب، الرازي، محمد بن عمر التميمي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١ هـ.
٥٥. المفردات في غريب القرآن. الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، ط ١، ١٤١٢ هـ.
٥٦. مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، طبعة: ١٣٩٩ هـ.
٥٧. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦ هـ.



٥٨. الْمُوطَّأ، مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان، ط١، ١٤٢٥هـ.

٥٩. النَّبَوَات، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الرياض، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ.

٦٠. النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.

٦١. الهداية إلى بلوغ النهاية، مكِّي، مكِّي بن أبي طالب حَمَّوش، تحقيق: مجموعة رسائل جامعة بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بإشراف الشاهد البوشيخي، الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، ط١، ١٤٢٩هـ.

٦٢. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق - بيروت، دار القلم - الدار الشامية، ط١، ١٤١٥هـ.

٦٣. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.





References and Sources

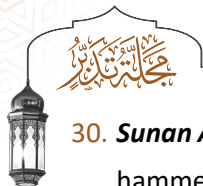
1. ***Al-Ibanah Al-Kubra***, Ibn Battah, Abu Abdullah Obaid Allah Al-Akbari, Investigated by: Reda Muati, Othman Al-Ethiobi, Youssef Al-Wabel, Al-Waleed bin Saif Al-Nasr, Hamad Al-Tuwaijri, Riyadh, Dar Al-Raya for Publishing and Distribution, no edition number, without publishing date.
2. ***Irwa' Al-Ghalil fi tahqiq Ahadith Manar Al-Sabil***, Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din, 2nd edition, Beirut, the Islamic Office, 1405 AH.
3. ***Adhwa' al-Bayan fi Idahul Qur'an bil-Qur'an***, Al-Shanqeeti, Mohammed Al-Amin, 5th Edition, Riyadh, Dar Attaat Al-Ilm, 1441 AH.
4. ***Anwaro Al-Tanzeel wa Asraru Al-Taweel***, Al-Baydawi, Nasser Al-Din Abu Saeed Abdullah bin Omar, Investigated by: Mohammed Abdul Rahman Al-Mara'ashli, 1st Edition, Beirut, Dar Ihia Atturath Alarabi, 1418 AH.
5. ***Bahr al-Ulum***, Al-Samarqandi, Abu Al-Laith Nasr bin Mohammed bin Ahmed, no edition number, without publishing date
6. ***Al-Bahru Al-Moheet fi Al-Tafseer***, Abu Hayyan, Mohammed bin Youssef, Investigated by: Sidqi Mohammed Jamil, Beirut, Dar Al-Fikr, 1420 AH. Without publishing date.
7. ***Basairu Awoli At-tameez fi Lataifu el-Kitabi Al-Aziz***, Al-Fayrouzabadi, Mohammed bin Yaqoub, Investigated by: Mohammed Ali Al-Najjar, Heritage Revival Committee, Supreme Council of Islamic Affairs, Cairo. No publishing date.
8. ***Ta'wilat Ahl al-Sunnah***, Al-Maturidi, Mohammed bin Mohammed bin Mahmoud, Investigated by: Dr. Majdi Basloum, 1st Edition, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1426 AH



9. ***Al-Tibayan fi Tafseer Gharib Al-Qur'an***, Ibn Al-Haim, Ahmed bin Mohammed, Investigated by: Dr. Dhahi Abdel-Baqi Mohammed, 1, Beirut, Dar Al-Gharb Al-Islami, 1423 AH.
10. ***Al-Tahrir wat Tanwir***, Ibn Ashour, Mohammed Al-Taher bin Mohammed bin Mohammed Al-Taher, Tunisia, Tunisian Publishing House, Edition: 1984.
11. ***Al-Tarifat***, Al-Jerjani, Ali bin Mohammed, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1403 AH.
12. ***Tafseer Al-Quran Alazeem***, Abu Mohammed Abd al-Rahman ibn Mohammed ibn Idris, Investigated by: Asaad Mohammed al-Tayyib, 3rd Edition, Saudi Arabia, Nizar Mustafa al-Baz Library, 1419 AH.
13. ***Tafseer Al-Quran Alazeem***, Ibn Kathir, Ismail bin Omar, Investigated by: Sami bin Mohammed Salama, 2nd edition, Dar Taiba, 1420 AH.
14. ***Tafseer Al-Manar***, Mohammed Rashid Rida, General Egyptian Book Authority, Edition: 1410 AH.
15. ***Tafseer Muqatil***, Muqatil bin Suleiman, Investigated by: Abdullah Mahmoud Shehata, 1st edition, Beirut, Dar Ihya Al-Turath, 1423 AH.
16. ***Tahzebul Loghah***, Al-Azhari, Mohammed bin Ahmed, Investigated by: Mohammed Awad Mereb, 1, Beirut, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 1421 AH.
17. ***Al-Tawqif ala Mahamat Al-Taareef***, Al-Manawi, Zain Al-Din Mohammed Bin Ali, Investigated by: Abdel-Khaleq Tharwat, 1st edition, Cairo, Alam Al-Kutub, 1410 AH.
18. ***Tayseer Al-Karim Al-Rahman fi Tafseer Kalam Al-Mannan***, Al-Saadi, Abdul Rahman bin Nasser, Investigated by: Abdul Rahman Al-Luhaiq, 1st Edition, Al-Resala Foundation, 1420 AH.
19. ***Jamei' al-Bayan a'n Taweel Aye Al-Quran***, Al-Tabari, Mohammed ibn Jarir, Investigated by: Abdullah ibn Abd al-Muhsin al-Turki, 1st edition, Dar Hajar, 1422 AH.
20. ***Jamei Al-Rasaeil***, Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim, Investigated by:



- Mohammed Salem Rashad, 1st edition, Riyadh, Dar al-Atta, 1422 AH.
21. **Al-Jamei Li' Ahkam Al-Quran**, Al-Qurtubi, Mohammed bin Ahmed, Investigated by: Ahmed Al-Bardouni and Ibrahim Atfayesh, 2nd Edition, Cairo, Dar Al-Kutub Al-Masryah, 1384 AH.
 22. **Jamhartu- al-Lughah** , Bin Duraid, Abu Bakr Mohammed Bin Al-Hassan, Investigated by: Ramzi Mounir Baalbaki, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Ilm Lilmaleen, 1987 AD.
 23. **Answering those who altered the religion of Jesus Christ**, Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim, investigated by: Ali bin Hassan - Abdul Aziz bin Ibrahim - Hamdan bin Mohammed, 2nd edition, Saudi Arabia, Dar Al-Asima, 1419 AH.
 24. **Al-Durr Al-Masoon fi Al-Ulum Al-Kitab Al-Maknon**, Al-Samin Al-Halabi, Ahmed bin Youssef bin Abdul-Daim, Investigated by: Ahmed Mohammed Al-Kharrat, Dar Al-Qalam, Damascus. without publishing date
 25. **Ruhul-Maani fi Tafseer Al-Quran Al-Azeem wa-Assabei' ul-Mathani**, Al-Alusi, Mahmud bin Abdullah, Investigated by: Ali Abdel-Bari Attia, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1415 AH.
 26. **Zadul-Massir fi Elm Attafseer**, Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman ibn Ali, investigated by by: Abd al-Razzaq al-Mahdi, 1st edition, Beirut, Dar al-Kitab al-Arabi, 1422 AH.
 27. **Series of Authentic Hadiths with Certain of their Jurisprudence and Benefits**, Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din, 1st Edition, Riyadh, Al-Maaref Library. without publishing date
 28. **Al-Sunnah**, Ibn Abi Asim, Abu Bakr Ahmad Al-Shaibani, Investigated by: Al-Albani, 1st Edition, Beirut, Islamic Office, 1400 AH.
 29. . **Sunan Ibn Majah**, Ibn Majah, Mohammed Ibn Yazid al-Qazwini, Investigated by: Mohammed Fouad Abd al-Baqi, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, without publishing date



30. **Sunan Abi Dawood**, Abu Dawood, Suleiman Al-Sijistani, Investigated by: Mohammed Muhyi Al-Din Abd Al-Hamid, Sidon, Al-Mataba Al-Asriyah. without publishing date
31. **Al-Sunan Al-Kubra**, Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein, Investigated by: Mohammed Abdul-Qadir Atta, 3rd edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1424 AH.
32. **Sharhu Asol Etiqad Ahlu al-Sunnah wal-Jama'ah**, Al-Lalaka'i, Abu al-Qasim Hebat Allah bin Al-Hassan bin, Investigated by: Ahmed bin Saad bin Hamdan Al-Ghamdi, 8th edition, Saudi Arabia, Dar Taiba, 1423 AH.
33. **Al-Sehah**, Al-Jawhari, Abu Nasr Ismail bin Hammad, Investigated by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, 4th edition, Beirut, Dar Al-Ilm Lilmalaen, 1407 AH.
34. **Sahih Al-Bukhari**, Mohammed bin Ismail, Investigated by: Mohammed Zuhair bin Nasser, 1st edition, Dar Tawq Al-Najat, 1422 AH.
35. **Sahih Muslim**, Muslim bin Al-Hajjaj, Investigated by: Mohammed Fouad Abdel-Baqi, Beirut, Dar Ihia Atturath Alarabi. without publishing date
36. **Umdat al-Hoffaz fi Tafseer Ashraf al-alfaz**, al-Samin al-Halabi, Ahmed bin Youssef bin Abdul-Daim, Investigated by: Mohammed Basil Oyoun al-Soud, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1417 AH.
37. **Gharaib Al-Quran wa Raghaibu al-Furqan**, Al-Nisaburi, Al-Hassan bin Mohammed, Investigated by: Zakaria Omeirat, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1416 AH.
38. **Gharib Al-Quran**, Ibn Qutayba, Abdullah bin Muslim, Investigated by: Ahmed Saqr, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Edition: 1398 AH.
39. **Fath al-Qadir**, Al-Shawkani, Mohammed bin Ali bin Mohammed, 1st edition, Beirut, Dar Ibn Katheer, Damascus, and Dar al-Kalam al-Tayyib, 1414 AH.
40. **Al-Kamel fi Al-Tarekh**, Ibn Al-Atheer, Abu Al-Hasan Ali bin Abi Al-Karam, Investigated by: Omar Abdel Salam Tadmuri, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1417 AH.



41. ***Al-Kashf a'n Haqai Ghawamid Altanzeel***, Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Amr, 3rd edition, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1407 AH.
42. ***Kashf al-Asrar, Sharhu Usol al-Bazdawi***, Alaa al-Din al-Bukhari, Abdul Aziz bin Ahmed, Dar al-Kitab al-Islami, no edition number, without publishing date
43. ***Al-Kolliyat*** (A Dictionary of Terminology and Linguistic Differences), Abu Al-Baqa, Ayoub bin Musa Al-Kafwi, Investigated by: Adnan Darwish and Mohammed Al-Masri, Beirut, Al-Resala Foundation, no edition number, without publishing date.
44. ***Lisanul Arab***, Ibn Manzoor, Mohammed bin Makram, 3rd Edition, Beirut, Dar Sader, 1414 AH.
45. ***Majmow Al-Fatawa***, Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim, Investigated by: Abdul Rahman bin Mohammed bin Qasim, Medina, King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an, Edition: 1416 AH.
46. ***Al-Mohariru el-Wajeez fi Tafseer Al-Kitab el-Azeez***, Ibn Attia, Abdul Haq bin Ghalib, Investigated by: Abdul Salam Abdul Shafi, 1, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1422 AH.
47. ***Al-Mahsoul***, Al-Razi, Abu Abdullah Mohammed bin Omar, study and Investigated by: Dr. Taha Jaber Fayyad Al-Alwani, 3rd edition, Beirut, Al-Resala Foundation, 1418 AH.
48. ***Al-Mukhtasar fi Usul Al-Hadith***, Al-Jarjani, Ali bin Mohammed, Investigated by: Ali Zwain, 1st edition, Riyadh, Al-Rushd Bookshop, 1407 AH.
49. ***Musnad Ahmed***, Ahmed bin Hanbal, Investigated by: Shuaib Al-Arnaout and others, 1, Beirut, Al-Resala Foundation, 1421 AH.
50. ***Mustalah Al-Hadith***, Ibn Uthaymeen, 1st Edition, Cairo, Al-Ilm Library, 1415 AH.
51. ***Al-Musannaf fi Al-Ahadith wal Athar***, Ibn Abi Shaybah, Abu Bakr Abdullah bin Mohammed, Investigated by: Kamal Yusuf Al-Hout, 1st Edition, Riyadh,



Al-Rushd Bookstore, 1409 AH.

52. **"Maalimu at-Tanzeel fi Tafseer Al-Qur'an»**. Al-Baghawi, Al-Hussein bin Masoud. Investigated by: Abdul Razzaq Al-Mahdi. 1st edition, Beirut: Dar Ihya Al-Turath al-Arabi, 1420 AH.
53. **Meanings of the Qur'an and its Syntax**, Al-Zajjaj, Ibrahim bin Al-Sirri, 1st Edition, investigated by: Abdel-Jalil Abdo Shalaby, Beirut, Alam Al-Kutub, 1408 AH.
54. **"Mafatihul-Ghaib"**. Al-Razi, Mohammed bin Omar. Without publishing date, 3rd Edition, Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 1420 AH.
55. **Al-Mufradat fi Gharib Al-Quran**. Al-Isfahani, Al-Hussein bin Mohammed, Investigated by: Safwan Adnan, 1, Dar Al-Qalam, 1412 AH.
56. **Maqaeis Al-Lughah**, Ibn Faris, Ahmed bin Faris, Investigated by: Abd al-Salam Haroun, Dar al-Fikr, Edition: 1399 AH.
57. **Menhaj Al-Sunnah fi Naqd Kalam Al-Sheiah Al-Qadariyyah**, Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim, Investigated by: Mohammed Rashad Salem, 1st Edition, Imam Mohammed bin Saud Islamic University, 1406 AH.
58. **Al-Muwatta**, Malik bin Anas, Investigated by: Mohammed Mustafa Al-Adhami, 1st edition, Zayed bin Sultan Foundation, 1425 AH.
59. **Al-Nobwaat**, Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim, Investigated by: Abdul Aziz bin Saleh Al-Tuwan, 1st Edition, Riyadh, Adwaa al-Salaf, 1420 AH.
60. **Al-Nokat wal-Eyoun**, Al-Mawardi, Ali Bin Mohammed, Investigated: Al-Sayyid Bin Abdul-Maqsoud, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Elmiyya, no edition number, without publishing date.
61. **Al-Hedayah fi Bologh Al-Nehayah**, Makki, Makki bin Abi Talib Hammoush, Investigated by: A group of university theses at the College of Postgraduate Studies and Scientific Research under the supervision of Shahid Al-Bushikhi, 1st Edition, Sharjah, Al-Kitab and Al-Sunnah Research Group, 1429 AH.
62. **Al-Wajeez fi Tafseer Al-Kitab Al-Aziz**, Al-Nisaburi, Abu Al-Hasan Ali bin



Ahmed, Investigated by: Safwan Adnan Daoudi, 1st Edition, Damascus - Beirut, Dar Al-Qalam - Al-Dar Al-Shamiya, 1415 AH.

63. ***Al-Waseet fi Tafseer Al-Quran Al-Majeed***, Al-Wahidi, Abu Al-Hasan Ali bin Ahmed bin, Investigated by: Adel Ahmed Abdel-Mawgod and others, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1415 AH.





فهرس الموضوعات

١٩ المستخلص
٢٣ المُقَدِّمَة
٢٩ المبحث الأول: مدخل لسنن الله
٢٩ المطلب الأول: تعريف السنن
٣٥ المطلب الثاني: أنواع سنن الله ﷺ
٤٠ المطلب الثالث: سبل معرفة السنن وفوائدها معرفتها
٤٥ المبحث الثاني: السنن المُستنبطَة من قصة موسى وبنى إسرائيل
٤٥ المطلب الأول: السنن المُتعلّقة بالله ﷻ
٥٣ المطلب الثاني: السنن المُتعلّقة بالإيمان
٥٩ المطلب الثالث: السنن المُتعلّقة بالدعوة
٦٣ المطلب الرابع: السنن المُتعلّقة بالنصر والتمكين
٦٦ المطلب الخامس: السنن المُتعلّقة بالكفر والتكذيب
٨١ المطلب السادس: السنن المُتعلّقة بالجزاء
٩٣ الخاتمة
٩٦ ثبت المصادر والمراجع
١٠٢ رومنة المصادر والمراجع
١٠٩ فهرس الموضوعات

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (12) Year 6 / Rajab1443 AH, corresponding to February 2022

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَدَّبَّرُوا فِيهِ وَلِئَلَّا تُكْرَهُوا وَلَا تَكُونَ لِلْعَالَمِينَ عِلَّةً ﴾ [ص: 29]

Part Two

TADABBUR MAGAZINE Index:

- Allah's Unchanged Laws "Sonar" in the Story of Moses and the Israel's in the Holy Quran
Dr. Saleh Thunayan Al-Thunayan
- Turning Away From Al-Laghw Is one of the Good People Features Allah (Glory Be to Him) said: And those who turn away from Al-Laghw (dirty, false, evil vain talk, falsehood, and all that Allah has forbidden). (Surat Al-Mominun: 3)
Dr. Roqayah Mohammed Salem Badari
- Explaining Scholar Al-Al-Habbi's Stops (Died in 930 AH) Objected by Sheikh Al-Ghamari (Died: 1413 AH)
Dr. Talal Ahmed bin Ali bin Mohammed
- Convenience between Surat Attakathir and Al-Asr and Its Psychological and Educational Effect
Prof Dr. Amal Ismail Saleh Saleh
- Rhetoric Inspiration of Mentioned & Omitted "Ha" in "Aowlae" After Pronouns in the Holy Quran
PROF. Dr. Ahmed Mohammed Mahmoud Saad
- Thesis Report «Effect of Contemplating The Holy Quran on Enhancing Professional Liability among Female Preachers» Field Study on Female Teachers of the Holy Quran in Riyadh
MS. Raniah M. Ali Al-Kenei
- Report about Academic Quranic Project entitled "Hayat Foundation for Contemplating the Holy Quran"

